

التفسير العلمي لمثل ظلمات البحور في سورة النور

تأليف الدكتور
حامد مصطفى عثمان محمد المكاوي
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
جامعة الأزهر الشريف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ذي العزة والجبروت، والملك والملكوت، والقهر والرهبوت،
والعفو والرحموت، إليه المرجع والرغبوت، حي لا يموت، يمهل ولا
يفوت، ويرزق ولا يقوت، الناظر في آياته مبهوت، يدبر في خفوت،
ويهب في صموت، جل عن وصف السكوت، وجسم منحوت، وسكنى
البيوت، والحل في بشر أو تابوت، وشرك الطاغوت، معبود بالقنوت،
باطن من غير تحوت، وظاهر من غير نعوت، وقوي من غير فتوت،
بديع التصوير والحتوت، نجى يونس من بطن الحوت، وإبراهيم من نار
لا تقوت، ونوحا وأتباعه من القلوت، وموسى من متعال ممقوت، وأشهد
أن لا إله إلا الله فرضه موقوت، وعطاؤه موكوت، ورزقه غير ممتوت،
وكلامه غير مبتوت، ووعدته غير مقتوت، ووليه غير مكبوت، يحي
الأرض المروت، بالورود والينبوت، والجسد المرفوت، وينطق الأبيكم
القروت، ويجمع الكسير المهتوت، فالسمااء سقف ممحوت، والأرض
قرار مكفوت، والزرع خضار مفتوت، من رطب وقروت، فلا ينكره إلا
مملوت، أو عدو ممقوت، أو جاحد مهبوت، وهو الحي الذي لا يموت.
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الصادق المصدوق، والنابع
المرموق، والمسعود المرزوق، صلى الله عليه، وعلى آله وإخوانه،
وصبحه وأتباعه، وبعد. فقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وموضوع

البحث، وخاتمة، ويسرت البحث في كل ذلك، بإعداد الفهارس، وسأبدأ،
ببيان منهجي في البحث. أولاً: منهجي في البحث:
تتبع المنهج الاستقرائي الموضوعي بدءاً من الجزئيات وانتهاء
بالكليات مستنبطاً من النصوص ما يتوافق مع معاني الآية من تفسيرات
لا سيما ما أقره العلم من معطيات. ثانياً: محتويات البحث: الفصل
الأول: تفسير آية (أو كظلمات) من سورة النور، والفصل الثاني: تفسير
آية الظلمات، بغيرها من آيات سور القرآن الكريم، والفصل الثالث:
الإعجاز العلمي في الآية، ثم ختمت بفهارس المصادر، والموضوعات.

الفصل الأول

تفسير آية (أو كظلمات) من سورة النور

لتكن باكورة الحديث عن تفسير آيتنا، من خلال السورة نفسها، وسوف يدور
فلك الحديث، حول مبحثين:

المبحث الأول

المعاني اللغوية، والإعرابية، والبلاغية في الآية

يقول الله - تعالى -: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي نَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ
نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٤١﴾^(١) وفي ضوء هذه الآية الكريمة، بسورة النور المدنية،
نستفيض في الشرح والتبيين، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تبين معاني المفردات بالآية الكريمة:

الظلمة: أصل الظلمة: ذهاب النور، وهي خلاف النور، أو ضد النور^(٢).
البحر: سمي البحر بحرًا ؛ لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته، وكثرة مائه، فيعم
الملح والعذب، وغلب على الملح، وقل في العذب، وسمي بحرًا لملوحته، أو
البحر هو الشق، فهو يشق الأرض شقًا^(٣) والبحر هو: " الماء الكثير، واللجي:
هو البحر البعيد القعر، والعرض، والماء بحيث لا يُرى طرفاه، ولجة البحر:
معظم ماء البحر، وسعته وصوته، وأصله مأخوذ من ارتفاع صوت الأمواج عند

(١) سورة النور.

(٢) مختار الصحاح، لمحمد، بن أبي بكر، بن عبد القادر، الرازي، تحقيق: محمود خاطر (ط،
بيروت، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) (٤٠٧/١).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (ط، بيروت، دار صادر) (٤١/٤).

التجاجها، في وسط البحر الواسع العميق^(١) فمعنى بحر لحي: ١- واسع ٢- تختلط في وسطه ١/١١٦ ٤- أصوات مرتفعة. يغشاه: (غشا) الغشاء: الغطاء...^(٢) فالتعبير عن ١- البحر اللحي بيغشاه موج، ٢- بمعنى يغطيه بحر موج، ٣- من فوقه بحر يغطيه موج، ٤- من فوقه بحر هواء، ٥- يغطيه سحب، وموج: أصله لغة: ما ارتفع من الماء فوق الماء، ومَوْجٌ كُلُّ شَيْءٍ، ومَوَاجُهُ: اضطرابه...^(٣) " فالمادة تدور حول الاضطراب، ودخول الشيء بعضه في بعض، والسحاب: لغة: الغَيْمُ^(٤) وأصل مادتها من السَّحْبُ، وهو: جَرَّكَ الشيءَ، على وجه الأرض، وسميت بالسَّحَابَةُ ؛ لأنها تنسحب في الهواء، ولذلك قيل: هي خاصة بالغيم الذي يمطر، وقال آخرون (السحاب) الغيم، سواء كان فيه ماء، أو لم يكن^(٥) نور: النور يرد في القرآن بمعنى: ١- صفة من صفات الله. ٢- الهادي من صفات الله - عز وجل - ٣- سيدنا محمد ﷺ. ٤- سيدنا موسى - عليه السلام - ٥- الحق. ٦- القرآن. ٧- شعاعه وسطوعه. ٨- توحيد الله ومعرفة^(٦) وعليه، فالنور هنا بتلك الآية يشير إلى كل تلك المعاني الواردة في القرآن. والنور هو الذي يبين الأشياء، ويرى الأبصار حقيقتها، فمَثَلُ ما أتى به النبي ﷺ - في القلوب في بيانه، وكشفه الظلمات، كمثل النور، ثم قال:

مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينَةٌ ۖ وَاللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يُضِلُّ إِلَّا السَّيِّئِينَ ۚ

(١) (٣٥٣/٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٢٦/١٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٣٧٠/٢).

(٤) مختار الصحاح، للرازي (٣٢٦/١).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٤٦١/١) بتصرف .

(٦) البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس، أحمد، بن محمد، بن عجيبة، المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان (ط، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م) (٤٨/٤) .

يَشَاءُ... ﴿١﴾ وقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ...﴾ ﴿٢﴾ وقال
بعض أهل العلم: النور جسم وعرض " (٣) وهو مجموعة من الفوتونات المتناهية
الصغر.

المطلب الثاني: معاني الحروف، والتفسير:

١- بيان معنى حرف (أو): (أو) ترد على معنيين: الجهل البسيط، والجهل
المركب، ولمعنيين الإباحة، والتخيير^(٤): ترد أو للإباحة، أو التخيير، فمعنى
الإباحة: أن كل مثل من المثليين - مثل السراب، ومثل الظلمات - يصلح لبيان
حال وحكم أعمال نوعي الكفار، من أصحاب الجهل البسيط، والمركب، فالإباحة
تجيز للمخاطب أن يختار أحد المتعاطفين، ولا تمنع الجمع^(٥). ومعنى
التخيير: أن تكون مخييراً فيهم، مثلاً بأي المثاليين شئت، كما أنك إذا قلت:
خذ درهماً، أو ديناراً كان كذلك^(٦) والمراد أن تأخذ واحداً، لا أن تجمع بينهما،
فالتخيير لا يجيز للمخاطب الجمع بين المتعاطفين، وهذا التفسير لا يتفق إلا إذا
رجع معنى التخيير إلى معنى الإباحة؛ لأن المثليين كل منهما مثل صالح
لتصوير حالهم، فلا يمتنع الجمع بينهما، فمعنى التخيير لـ (أو) غير مناسب
لمعنى المثليين.

(١) سورة النور.

(٢) سورة المائدة.

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٢٤٠/٥).

(٤) شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك، لعبد الله، بن عقيل، العقيلي، تحقيق: محمد محي
الدين عبد الحميد (ط ٢، دمشق، دار الفكر، سنة ١٩٨٥م) (٢٣٢/٣) وتفسير ابن كثير
(٩٢/١).

(٥) شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك (٢٣٢/٣).

(٦) الفريد، في إعراب القرآن المجيد، لحسين، بن أبي العز، الهمذاني (ط ١، دار الثقافة،
١٤١١هـ-١٩٩١م) (٢٣٥/١).

* - رأي جمهور المفسرين في معنى (أو): اختار أغلب المفسرين معنى الإِبَاحَةِ^(١).

* - تحرير الآراء، وتحقيقها لغويا: " أو " للتخيير: " هي الواقعة بعد الطلب (صيغة الأمر) وقبل ما يمتنع فيه الجمع " (٢). و"أو" للإباحة: " هي الواقعة بعد الطلب، وقبل ما يجوز فيه الجمع (٣) فأكثر النحويين على خلاف، مع ما ذهب إليه أكثر المفسرين، من تفسير (أو) بالإباحة ؛ لأن المثل (أو كظلمات) لم يسبق بأمر، ولا طلب، بل هو خبر محض، مما يضعف تفسير "أو" في المثل بمعنى الإباحة هو الآخر، بعدما أضعفنا تفسيرها بمعنى التخيير.

الرأي الراجح، في معنى (أو): الراجح هو معنى التقسيم أو التخيير^(٤) والمعنى أن الذين كفروا باعتبار أعمالهم ينقسمون إلى قسمين في الجملة: قسم بين حالهم، وحال أعمالهم، بمثل السراب، وقسم بين حالهم، وحال أعمالهم، بمثل الظلمات.

* - مرجحات الرأي الراجح، من معاني (أو): يرجح أن تكون أو للتقسيم ؛ لأنه هو الأقرب لتفسير " أو " في الممثل به، وذلك للاعتبارات الآتية:

١ - معنى الإِبَاحَةِ، الذي عليه أكثر المفسرين، يشترط له أكثر النحاة، أن تسبق " أو " بطلب ٢ - أن هذا المعنى قد قال به بعض المفسرين، والعلماء المحققون، حيث نصوا على أن أحد المثليين، لأصحاب الجهل المركب، والآخر، للجهل البسيط، وقال ابن تيمية -رحمه الله-: " فيكون التقسيم في المثليين ؛

(١) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، المتوفى ٢٥٠ هـ (ط ٢، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٨٣ هـ) (٤/٣٩) .

(٢) الفريد، للمنتجب (١/٢٣٥).

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين، ابن هشام، الأنصاري، تحقيق : د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله (ط ٦، بيروت، دار الفكر، سنة ١٩٨٥ م) (١/٨٨).

(٤) الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع (٢/٥٧٧).

لتنوع الأشخاص، ولتنوع أحوالهم، وبكل حال، فليس ما ضرب له هذا المثل، هو مماثل لما ضرب له هذا المثل، لاختلاف المثليين صورة ومعنى، ولهذا لم يضرب للإيمان إلا مثل واحد، لأن الحق واحد، فضرب مثله بالنور، وأولئك ضرب لهم المثل، بضوء لا حقيقة له، كالسراب بالقيعة، أو بالظلمات المترامية^(١) ٣ - أن هذا المعنى يتفق مع

ما تقدم من دلالة السياق، وألفاظ المثليين.

٢- حرف (في) وارتباطه بالمعنى العلمي:

(في) للظرفية المكانية، ومتعلقة بالظلمات، فهي تدل على أن الظلمات، كائنة في مكان ما من البحر اللجي، وبحر: " أصل البحر كل مكان، واسع، جامع للماء الكثير، فهو يطلق على الصغير والكبير، والعذب والمالح " ^(٢) ولعموم وسعة دلالة لفظ البحر، ناسب وصفه بأنه (لجي) ليكتسب معنى، وبعداً هاماً في إبراز الصورة المرسومة في المثل (لجي): صفة لبحر^(٣) ولها أربعة معاني، سبق إيرادها، ويؤيدها ما ثبت في علم البحار، من أن الأمواج الباطنية - التي تكون تحت سطح الماء، المعبر عنها بقوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾ ^(٤) - لا تكون إلا في البحار العميقة^(٥).

(١) مجموع الفتاوى، لتقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الحلیم، بن تيمية الحراني، المتوفى

: ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد الرحمن، بن محمد، بن قاسم (ط ١، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) (٢٧٨/٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن، لأبي الحسين، بن محمد، بن المفضل، المعروف بالراغب

الأصفهاني (ط، دمشق، دار القلم) (٧٠/١) ولسان العرب (٤١/٤).

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني (٦٠٤/٣).

(٤) سورة النور.

(٥) الأمثلة القرآنية القياسية (١٨٠/٢).

المطلب الثالث: الإعراب:

(ظلمات) خبر لمحذوف تقديره: تلك، أو بمعنى: ظلمات عظام، أو متكاثفة، أو المعنى: كذي ظلمات، بمعنى: عود الضمير عليه في قوله: (يغشاه) وهو تأويل نحوي، وليس مجازاً بالحذف؛ لعدم ترتب تغير إعرابي، على تقدير المحذوف. {أو}: حرف عطف، عطف مثل الظلمات، على مثل السراب، الذين شبهت بهما أعمال الكفار^(١).

المطلب الرابع: التفسير البلاغي للآية:

النقطة الأولى: تفسير (التشبيه) في الآية: وفيها عدة محاور: المحور الأول: من حيث القياس، هو قياس تمثيلي: حيث جعلت الصورة المنتزعة، من حال الكائن (في ظلمات بحر لحي) حجب عنه النور، بأكثر من حجاب، وما يحيط به من أحوال البحر المضطرب، العميق الكثير الأحياء الفاتلة، والمخاوف الهائلة، مثلاً تقاس به أعمال فريق من الكفار، ويُعطون حكمه، ويعتبر به، في معرفة حقيقة حالهم.

المحور الثاني: من حيث التشبيه: هو تشبيه مركب: وذلك أن كلاً من الممثل به، والممثل له، عبارة عن: صورة مركبة من جملة أفراد، تعطي في مجموعها الوصف المعبر، والحكم المشترك، بين المشبه والمشبه به؛ حيث شبهت أعمال صنف من الكفار، في ظلمتها، وظلمة قلوب عمالها، وحيرتهم، وما ينتابهم من اضطراب، وخوف، بالظلمة^(٢).

المحور الثالث: نوع التشبيه، من حيث المحسوس، والمعقول: في المثل إبراز للمعقول المدرك بالعقل، وهو أعمال الكافرين، بالحسي، وهو الظلمات.

(١) الأمثال القرآنية، للجربوع، كلية الدعوة وأصول الدين، التابعة لجامعة المدينة المنورة (٥٧٤/٢).

(٢) الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع (٥٧٣/٢) وفتح القدير، للشوكاني (٦٣/٤).

المحور الرابع: ما يستفاد من عبارات المثل القرآني: يستفاد من قوله: ﴿فِي مَحَرِّ لُجِّيٍّ﴾^(١) أن المشبه به كائن في مكان ما في ١ - قاع بحر ٢ - عظيم كثير

الماء ٣ - عميق ٤ - مظلم ٥ - مضطرب الأمواج ٦ - مخيف

مفرع، وقوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(٢) (يغشاه) أي: يغطيه.

المحور الخامس: بيان أعمال صنف من الكافرين: لم يرد في ألفاظ المثل، مما يتعلق بأعمال صنف من الكافرين، إلا ما دل عليه حرف العطف "أو" من أن الممثل له هو أعمال صنف من الكفار، وقوله -تعالى- في ختام المثل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٣).

وبقية حال (أعمل صنف من الكافرين) يمكن الاستدلال عليها من (الكائن في الظلمات) الذي هو عبارة عن وجه شبه بين صاحب الظلمات، وأعمال صنف من الكافرين، يمكن تأملها، وتبيين صورة الممثل له إجمالاً، بمعرفة، ما تدل عليه الأمور الآتية: ١ - ما يفيد حرف العطف "أو". ٢ - ما يفيد كلمة "ظلمات" وكلمة "لجي". ٣ - ما يقابل الحجب الأربعة (السحاب، والموج الأول، والموج الثاني، والبحر اللجي). ٤ - ما يدل عليه قوله: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٤). ٥ - ما يدل عليه ختام المثل بقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٥) وهذا أوان تفصيل هذه الأمور.

(١) سورة النور .

(٢) مفردات القرآن، لأبي الحسين، بن محمد، بن المفضل، المعروف، بالراغب الأصفهاني، أبي القاسم (ط، دمشق، دار القلم) (٧٠/١).

(٣) سورة النور .

(٤) الأمثال القرآنية القياسية (٦٠١/٢).

(٥) سورة النور .

قوله -تعالى-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾^(١) أو: حرف عطف، عطف (مثل الظلمات) على (مثل السراب) وأن الراجح في معناها أنها للتقسيم: وتقدير الكلام: والذين كفروا أعمالهم كسراب.... أو هي كظلمات.... ما يستفاد من هذا، في بيان الممثل له (أعمال صنف من الكافرين): أن الممثل له هو (أعمال الكافرين) في الأصل، مع شموله، لبيان حال عمالها، وأثرها عليهم ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾^(٢): الكلمة مجملة، وأتبع بتفصيلها، إلى أربع ظلمات، والمراد بالظلمات في الممثل له، الظلمات المعنوية، التي تقابل الظلمات الحسية، في الممثل به، وذكرت بقوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾^(٣) "وأجمع المفسرون، على أن المراد ههنا من الظلمات والنور: الكفر والإيمان"^(٤) "والظلمة عدم النور، وجمعها ظلمات.. ويعبر بها عن الجهل، والشرك، والفسق، والغفلة، كما يعبر بالنور عن أضدادها"^(٥) وأضدادها هي: العلم، والإيمان الخالص، والطاعة، والذكر. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي، في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾^(٦): " فأخبر الله -تعالى- أن الذين آمنوا به، وصدقوا إيمانهم، بالقيام بواجبات الإيمان، وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم، يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل، والكفر، والمعاصي، والغفلة والإعراض، إلى نور العلم، واليقين،

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة البقرة.

(٤) التفسير الكبير، للرازي (ط ٢، طهران، دار الكتب العلمية) (٢٠/٧).

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني (٩٣٣/١).

(٦) سورة البقرة.

والإيمان، والطاعة، والإقبال الكامل على ربهم " (١) فمن هذه النقول، يتبين أن الظلمات التي يتلبس بها الكفار، والتي يخرج الله المؤمنين منها، تشمل: ظلمة الجهل، وهي تكذيبه وإعراضه عن مدلولات ما أنزل الله من الوحي، والآيات الهادية في الأنفس والآفاق، وظلمة الكفر، وظلمة الشرك والضلالات العلمية، والمعاصي - ضلال عملي - وظلمة الغفلة، والإعراض - ضلال علمي - وهي تقابل ما ينعم الله به على المؤمنين من النور، الذي يشمل: نور العلم، ونور اليقين، والإيمان، ونور الطاعة، ونور الإقبال، والذكر، وكل واحد من هذه الظلمات، عبارة عن حجاب، يسهم في إبعاده عن مصدر النور والهدى، فهو إذاً بعيد جداً، وفي ظلمة وحيرة شديدة، نسال الله السلامة والعافية.

المحور الثامن: بيان دلالة قوله -تعالى-: ﴿ فِي نَحْرِ لُجِّي ﴾ (٢) وقوله: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا... ﴾ (٣) على الممثل له: قوله الله -تعالى-: ﴿ فِي نَحْرِ لُجِّي ﴾ (٤) إلى حين الكلام على قوله: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا... ﴾ (٥) جملتان يحددان مكان الظلمة في الممثل له، وأثرها عليه، وتفيدان عدة أمور: أولاً: تحديد ما يقابل المكان الممثل به. وثانياً: ما يقابل الشخص المقدر وجوده في ذلك المكان، في قوله -تعالى-: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا... ﴾. وثالثاً:

(١) تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن، بن ناصر، بن السعدي ، لعبد الرحمن، بن معلا، اللويحق (ط ١، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (٣١٨/١) بتصرف يسير جدا.

(٢) سورة النور .

(٣) سورة النور .

(٤) سورة النور .

(٥) سورة النور .

ما تدل عليه جملة: ﴿فِي مَحَرِّ لُجِّيٍّ﴾^(١) وجملة: ﴿إِذَا أُخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا...﴾ من الظلمة والخوف، والاضطراب، والتردد، والحيرة. وإليك ما يلي:

الأمر الأول: تحديد ما يقابل المكان الممثل به: الأنسب - والله أعلم - تفسير البحر اللجي، بما يتناسب مع ما فسرت به الأمواج، حيث إنها من جنس واحد، فالكل ماء، والبحر كل، والأمواج أفراد، فيكون تفسير " البحر اللجي " : بما يفيد عمق كفر، وضلال ذلك الكافر، وسعته، وأنه مغمور ببحر من الظلمات، تتلاطم فيه أمواج الضلال، والفساد، والجهالات، والشُرور، وإن كان المراد أن قلب الكافر، يقابل ذلك المكان الكائن في عمق البحر اللجي^(٢) بأموجه، تحت الموج الباطني - ببحره، والذي يدور السياق، حول بيان شدة ظلمته، والمقدر فيه، الذي ﴿إِذَا أُخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا...﴾^(٤) - فهو تفسير مناسب تماماً، لتطابق الممثل به، والممثل له، بيانه أن ذلك المكان في قعر المحيط، يغمره الماء - ماء البحر المالح - من داخله، ومن خارجه، وكذلك قلب الكافر، تغمره الفتن، والمغريات، والضلالات، والكفر، والجهالات، من داخله وخارجه، فغمرات قلبه، كظلمات تلفها أعماق عدة أبحر: البحر الأول، الذي هو فيه: بحر لجي، يموج بالفتن والفساد، والبحر الثاني: يغشى البحر اللجي، بموج قول ضال. والبحر الثالث السطحي الظاهر: يغشى البحر الثاني، بموج عمل ظاهر الكفر.

(١) سورة النور .

(٢) الأمثلة القرآنية القياسية (٦١٥/٢، ٦١٦)

(٣) قال ابن كثير : " فهذا مثل قلب الكافر، الجاهل، البسيط، المقلد، الذي لا يدري أين يذهب " تفسير ابن كثير (دار طيبة) (٧١/٦) ونسبه القرطبي لابن عباس . الجامع لأحكام القرآن (ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) (١٢/ ٢٨٤).

(٤) سورة النور .

والبحر الرابع: يغشى البحر الثالث، ويلفه بغلالة كثيفة، من سحب جهل تيارات الكفر والإلحاد، من كل مكان.

الأمر الثاني: تحديد ما يقابل الشخص، المقدر وجوده في ذلك المكان، في قوله -تعالى-: ﴿إِذَا أخرجَ يَدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا...﴾^(١): مما تقدم تبين أن البحر اللجج يقابله: بحر الفتن، والمغريات، والضلال، وبحر القول الشركي، والعمل الظاهر الكفر، وجهالة الإلحاد، التي يتقلب فيها الكافر، وأن المكان الكائن في قعر البحر، تحت الأمواج، يقابله: قلب الكافر^(٢) في تلك الظلم السابقة الذكر. ويكون ما يقابل الشخص المقدر، وجوده في ذلك المكان هو: بصر القلب، وعينه، فالمراد: بيان عدم قدرة قلب ذلك الكافر على الإبصار، في مقابل عدم قدرة عين ذلك الشخص على الإبصار. وقد أشار ابن جرير - رحمه الله - إلى هذه المقابلة، بقوله المتقدم، ومنه: " فأخبر تعالى ذكره، أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان، وسبله، وشرائعه، وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتره عن أبصار القلوب " (٣) فقوله: " بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتره عن أبصار القلوب " يدل على أن تلك الحجب، والظلم، إنما هي سواتر، وحجب تحجب أبصار القلوب، كما أن الظلم الحسية، تحجب أبصار العيون ". وقال أيضاً: " ويعني بالظلمات: ظلمات الكفر، وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب، ورؤية ضياء الإيمان، وحقائق أدلته، وسبله " (٤) وهذا التشبيه مداره على أن عدم الإبصار،

(١) سورة النور.

(٢) الأمثال القرآنية القياسية (٦١٣/٢، ٦١٤).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد، بن جرير، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاکر (ط

١، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (٤٢٤/٥).

(٤) نفس المرجع.

سببه انعدام النور، وليس علة في الآلة المبصرة. وهذا المعنى ظاهر في الممثل به، والممثل له. فالممثل به - الشخص المقدر وجوده في قعر البحر - لا يبصر يده، ولا يبصر غيرها من باب أولى، بسبب انعدام الضوء؛ لوجود تلك الحجب المذكورة في المثل، والممثل له - قلب الكافر، المقابل للذي ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) - لا يبصر سبل الهدى، وأسباب النجاة، لسبب الحجب التي حالت بينه، وبين أنوار الهداية، كما أن هذا المعنى يبين حسن المقابلة بين هذا المثل - مثل الظلمات - ومثل النور، وذلك أن مثل النور بين استنارة قلب المؤمن، والعوامل التي ساعدت على اكتمال ذلك النور، وتوجهه، وأثره الطيب على صاحبه. وهذا المثل - مثل الظلمات - بين ظلمة قلب الكافر، والعوامل التي ساعدت على استحكامها، وأثرها السيئ على صاحبها، وقد ورد ما يشير إلى المقابلة بين المثليين في ألفاظهما، من قوله - سبحانه - في مثل النور: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾^(٢) ويقابلها في مثل الظلمات قوله: ﴿ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٣) وقوله في مثل النور: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...﴾^(٤) ويقابلها في مثل الظلمات: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٥) الأمر الثالث: ما تدل عليه جملة: ﴿فِي نَحْرِ لُجِّي﴾^(٦) وجملة: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾^(٧): لفظ "لجي" الذي وصف به البحر يدل على أمرين:

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) سورة النور.

(٥) سورة النور.

(٦) الأمثلة القرآنية القياسية (٢/٦١٥، ٦١٦)

(٧) سورة النور.

الأول: التردد، والاضطراب الناتج عن هيجان الأمواج. الثاني: العمق، حيث إن البحر اللجي: هو العميق كثير الماء. فالمشبه به كائن في مكان ما في عمق بحر، عظيم، مظلم مضطرب الموج، مخيف، مفزع.

ويقابل هذه المعاني في الممثل له (أعمال صنف من الكفار): أن هذا الصنف من الكفار - المضروب لهم مثل الظلمات ١- مغمورون في بحار الكفر، والضلال، والفساد، قد أظلم عليهم طريق الهداية، قال ابن جرير - رحمه الله -: " يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ، وفساد، وضلالة، وحيرة، من عمالها منها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لجي " (١).

المحور الثامن: بيان وجه الارتباط، بين قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٢) والمثل السابق عليه: هذه الجملة تلخيص، وتأكيد للمعنى الذي دل عليه المثل، والمعنى الذي دل عليه السياق، فالمثل دل على وجود حجب، حجبت هؤلاء الكفار عن أنوار الهداية، فهم بعيدون عنها، وأهمها: هو فعل الله بالختم على قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، ولما كان الله وحده، بيده الهداية إلى نوره، وقد حال بينهم وبينها، لم يصبح بمقدورهم - والحالة هذه - الحصول على نور يهتدون به ؟.

المحور التاسع: خلاصة صورة (الكائن في الظلمات): دل المثل على تشبيه أعمال صنف من الكفار في ظلمتها، وضلال عمالها، وعدم قدرتهم على الانفكاك منها: بشخص كائن في مكان مظلم في قاع: ١- بحر عظيم مضطرب الموج، قد حجب الضوء عنه بحجب كثيرة ٢- من السحاب. ٣- والموج المتلاطم على سطح البحر. ٤- والموج الداخلي، فلا ينفذ من هذه الحجب شيء من الضوء إلى قاع البحر، كما لا ينفذ شيء من أنوار الهداية، إلى قلب الكافر، أو كما لا يصلح

(١) جامع البيان (١٩٧/١٩).

(٢) سورة النور.

شيء من أعمال الكافرين. كما دل المثل على أن هذه الحجب، هي ظلمات، تسهم مجتمعة في انعكاس الضوء، وتكسره، ثم ارتداده، مما يجعله عند حد معين، لا ينفذ منه شيء إلى أسفل، ويكون ما تحته مظلاماً ظلماً تاماً. كما دل المثل، على أن ذلك المكان في قاع البحر، وهو مع ظلمته المطبقة، مكان مفزع مخوف، بسبب الظلمة، وتلاطم الأمواج، وتردها من فوقه، والأحياء المفترسة، والسامة من حوله، والماء الشديد البرودة، والضغط^(١).

المحور العاشر: بيان مكان صاحب التمثيل (المشبه به): السياق يدل على أن المشبه به، في ظلمات بحر لحي عميق، يغشاه أمواج بحر داخلي، من فوقها أمواج بحر سطحي، من فوقها أمواج سحب بحر هوائي، وبهذا يعلم بُعد مكان (صاحب الظلمات الكائن في الظلمات) الممثل به عن مصدر الضوء، وشدة ظلمته؛ لوجود الحجب الكثيرة بينه وبينه، وهذه الظلمة ملازمة، لا تتأثر بإشراق الشمس نهاراً فوق السحاب، أو غيابها ليلاً، فسببها الحجب الكثيفة المانعة للضوء، والبعد السحيق.

المحور الحادي عشر: بيان زمان صاحب التمثيل المشبه به، وفيه ما يلي:
أولاً: هل الزمان كان ليلاً أو نهاراً؟ السياق لم يذكر: هل الزمان ليل أو نهار، ومن ذكر من المفسرين أن الزمان ليل، اعتبر أنه هو الأنسب لسياق المثل، المصوّر لشدة الظلمة^(٢) ويكون ذكر السحاب، مفيد لحجبه نور القمر، وسيول الماء، التي تزيد اضطراب الأمواج، وشدة الظلمة. ثانياً: الرأي الراجح، في زمان المثل بالآية، هل كان ليلاً أو نهاراً؟: تقدير الزمان نهاراً، له وجه معتبر في المثل، للمعاني الآتية: ١- أن ذلك أبلغ في إفادة شدة الظلمة، إذ إن الظلمة اللازمة، التي لا تتأثر بليل ولا بنهار، أشد وأعظم من الظلمة الطارئة، المتأثرة بالشمس. ٢- أن افتراض أن الشمس مشرقة، يفيد في الدلالة على بُعد الواقع في ذلك المكان المظلم عن مصدر النور - الشمس - والذي يقابل في المثل له بنور العلم؛ مما يفيد في بيان أن ضلال صاحب الظلمات، أوقعه في مكان محجوب عن النور، فبعده عن مصدر النور، بسبب وجود تلك الحجب، وليس

(١) الأمثال القرآنية القياسية (٥٩٩/٢) بتصرف، وزيادة يسيرة.

(٢) الأمثال القرآنية القياسية (٥٨٨/٢).

انعدام مصدر النور. ٣- أن التفصيل في ذكر الحجب، وتسميتها ظلمات، يدل على أن لها أثراً في إحداث الظلمة، وذلك لا يتحقق إلا بافتراض أن الشمس مشرقة، حيث يخترق بعض أشعتها السحاب، أما في الليل، فإن السحاب كاف في إحداث الظلمة، حيث يحجب النجوم، وعندها تستوي الظلمة فوق البحر وداخله، ولا حاجة لذكر الحجب الأخرى، ولكن يناسب ذلك مع وجود بعض الضوء الذي تسرب من السحاب - والشمس مشرقة - إذ يبرز أثر تلك الحجب في (١) حجب ذلك الضوء النافذ عن قاع البحر. ثالثاً: دلالة ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾ (٢) على شدة الظلمة: قول الله - تعالى -: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾: يؤكد على شدة الظلمة، المحيطة بالمثل به، وبعده عن مصدر النور.

المحور الثاني عشر: الفوائد المستنبطة من المثل: أهم الفوائد المستنبطة من مثل الظلمات في قول الله - تعالى -: ﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي نَحْرٍ لُجِّي...﴾ (٣) الآية: ١- دلالة المثل، على أن الكفار، يتقلبون في الظلمات الحالكة، لا ينفكون منها. ٢- دلالة المثل، على سبب ضلال هذا النوع من الكفار. ٣- دلالة المثل، على فعل الله في إضلال الكفار، وختمه على القلوب والأسماع. ٤- دلالة المثل، على أن الكفار في حيرة، وقلق، وخوف دائم. ٥- إفادة المثل حقائق علمية، ومعجزة نبوية. ٦- قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا...﴾ (٤) يتضمن فائدتين بالنسبة للمثل: الأولى: ما دل عليه فاعل ﴿أَخْرَجَ﴾ في قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ...﴾ من تقدير ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو) يعود على فاعل الفعل ﴿أَخْرَجَ﴾ وهو ما يعني وجود شخص كائن في المكان، الذي تقدم وصفه في قاع البحر، حيث إن " فاعل (أخرج) ضمير يعود على مقدر دل عليه المقام: أي إذا أخرج الحاضر في هذه الظلمات، أو من ابتلي بها.. " (٥). الثانية:

(١) الأمثال القياسية القرآنية (٥٩٢/٢).

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) سورة النور.

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٤٠/٤).

بيان المراد من وصف الظلمة المتقدم، وهو إفادة عدم قدرة من كان فيها على الإبصار، والاهتداء إلى طريق النجاة. كما أفاد فهم المثل تبين مواضع الإجمال والتفصيل، فقول الله -تعالى-: ﴿ظُلِمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(١) هذه الجملة، فيها إجمال بعد تفصيل، وقد تضمن أسلوب المثل إجمالاً، ثم تفصيلاً، ثم إجمالاً، وذلك أنه أجمل، قائلاً في أول المثل: ﴿أَوْ كَظُلُمْتِ﴾^(٢) ثم فصلها، وبين أنها مكونة من ظلمة قاع البحر، ذي الأمواج الناتجة عن موج ذي بحر فوقه، وموج ذي بحر، فوق الموج الأول، وسحاب فوق الجميع، ثم أجمل بقوله: ﴿ظُلِمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٣).

المحور الثالث عشر: بيان مرجع الضمائر في الآية، وفيه ما يلي: ١- تحرير الرأي الراجح، في مرجع الضمير، بقول الله -تعالى- ﴿يَغْشَاهُ...﴾^(٤) الضمير في ﴿يَغْشَاهُ...﴾: " لصاحب الظلمات أو للبحر " ^(٥) ويحتمل أن يكون: للمكان الذي فيه المشبه به المدلول عليه بقوله: ﴿فِي مَحْرُلُجِي﴾^(٦): أي في مكان ما من البحر اللجي، كما تقدم، والقول بأن الضمير يعود على البحر، يرد عليه أن الموج داخل البحر، وجزء منه، والغشيان هو التغطية، والموج لا يغطي البحر، وإنما يتردد فيه، ويجب عنه بأن الموج المذكور، هو موج بحر يعلو البحر اللجي، وليس جزءاً منه، ولذلك عبر الله -تعالى- بالغشيان، والتغطية، والقول لأن الضمير لصاحب الظلمات، جيد، إلا أنه لم يتقدم ما يشير إليه في السياق، وإن كان سيأتي بعد في قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِّ يَرْنَهَا...﴾^(٧) لذلك فالأقوى أن الضمير يعود على المكان، الذي حدد في قاع البحر العميق، وهو يتضمن صاحب الظلمات، إذ هو فيه، فتكون جملة: ﴿يَغْشَاهُ

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) سورة النور.

(٥) الفريد، في إعراب القرآن المجيد، لابن المنتجب، الهمداني (٦٠٥/٣).

(٦) سورة النور.

(٧) سورة النور.

مَوْجٌ... ﴿١﴾ (١) صفة للمكان الواقع فيه (المشبه به) صاحب الظلمات في قاع البحر. ٢- تحرير الرأي الراجح في مرجع الضمير بقول الله -تعالى-: ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾ (٢): الضمير في قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِ...﴾ يعود على الموج ذي البحر، المتقدم ذكره في قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾ (١) وهو الذي يعلو البحر اللجي بموجه - وهو جزء منه، يتردد فيه، ولا يغطيه، وإنما يصح الوصف بـ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ عندما يكون هذا الموج، جزءا من بحر آخر، يعلو البحر اللجي - فقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾ صفة للموج (٣) ذي البحر، المتقدم ذكره، وهذا الموج الأخير، هو الكائن على سطح البحر، المشاهد بالعيان، وذلك أن هذا المعنى، هو المتبادر إلى الذهن، إزاء لفظ "الموج" ولم يصرف عن ذلك بصارف، كما أنه هو الموج الذي يكون السحاب من فوقه. ٣- تحرير الرأي الراجح في مرجع الضمير، بقول الله -تعالى-: ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾ (٤): الضمير في قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِ...﴾ يعود على الموج المذكور في قوله - تعالى-: ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾ فتكون هذه الجملة ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾ (٥) صفة له، وهذا الحجاب يقابل الموج في البحر، وإن كان خارجا عنه، فلا موج بلا بحر، وبحره هو الهواء الذي يفصله عن البحر، وأثره في حجب النور أعظم، حيث حجب مصدر النور الحسي، الذي هو الشمس في النهار، ومعالم الاهتداء، التي هي النجوم في الليل. ٤- تحرير مرجع الضمير، في قول الله -تعالى-: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ...﴾ (٦): الضمير في (أخرج) يعود على شخص موجود في أعماق الظلمات.

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد، للهمداني (٦٠٥/٣) بتصريف يسير.

(٤) سورة النور.

(٥) سورة النور.

(٦) سورة النور.

المبحث الثاني

المعاني التفسيرية للآية

ويحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول: أقوال المفسرين، في قول الله - تعالى -

﴿لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾^(١):

١- آراء المفسرين، في معنى نفي الرؤية، وثبوتها بقوله -تعالى-: ﴿لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾^(١): اختلف المفسرون، واللغويون، في المراد بقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) ومرد أقوالهم إلى ثلاثة أقوال هي الأول: لم يراها، ولم يكد، أي: لم يقرب من رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها، فهو من أن يراها أبعد. الثاني: أن يكون يراها، ولكن بعد ببطء، وجهد، ومشقة، أي أنه يراها بعد أن يقارب ألا يراها، الثالث: بمعنى: لا يراها^(٢).

٢- تحرير، وتحقيق الأقوال: القول الأول والثاني - مع تضادهما في الدلالة - متفقان مع أصل معنى "كاد" وذلك أنها فعل يدل على قرب زمن وقوع الخبر من الاسم قرباً كبيراً، وقد يقع الخبر، أو لا يقع، بل قد يستحيل وقوعه، نحو قوله -تعالى-: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾^(٣). أما القول الثالث، فهو (لا يراها) غير متفق مع معنى "كاد": لعدم اشتماله على معنى المقاربة، وإن كان صحيحاً في المعنى، متفقاً مع دلالة السياق، والقول الأول والثاني، مع اتفاقهما مع معنى

(١) سورة النور.

(٢) جامع البيان، لابن جرير (١٩٩/١٩) وفتح القدير، للشوكاني (٤٠/٤) والفريد في إعراب القرآن المحيد، للهمذاني (٦٠٦/٣).

(٣) النحو الوافي، لعباس حسن، المتوفى ١٣٩٨هـ (ط ١٥، القاهرة، دار المعارف) (٦١٥/١)

(كاد): إلا أن سبب الاختلاف بينهما، إنما هو في دلالة الأسلوب، في قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا...﴾^(١) هل معناه: وقوع الرؤية، مع الصعوبة، والمشقة والتردد، ومقاربة عدم الفعل، نظير قوله -تعالى-: ﴿فَذَنَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢) أو المراد: نفي الرؤية، ونفي مقاربتها، والقائلون بأن الأصل في الأسلوب، يدل على وقوع الرؤية، بعد جهد وشدة^(٣).

تحرير الرأي الراجح، عند أصحاب الرأيين الأول والثاني: أكثرهم رجح تفسيره في الآية، بعدم الرؤية؛ لدلالة السياق، وعبر عن هذا الاتجاه، ابن جرير -رحمه الله- بقوله: "وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلاناً، إنما هو إثبات منه لنفسه، رؤيته بعد جهد وشدة" إلى أن قال: "وهذا القول الثالث (أن يكون قد رآها بعد بضع وجهد) أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب "كاد" في كلامها^(٤) والقول الآخر، الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى: لم يرها، قول أوضح من جهة التفسير، وهو أخفى معانيه، وإنما حسن ذلك في هذا الموضع، أعني أن يقول: لم يكد يراها، مع شدة الظلمة التي ذكر^(٥). وفريق آخر يرى أن أسلوب "لم يكد يفعل" يدل على مطلق نفي المقاربة، ١- إما نفي مقاربة الفعل - مقاربة الترك للذبح - مع الفعل، كما في قوله: ﴿فَذَنَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٦). ٢- أو نفي الفعل مع نفي مقاربتة، كما في قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ

(١) سورة النور.

(٢) سورة البقرة.

(٣) الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع (٥٩٥/٢).

(٤) جامع البيان (١٩٩/١٩).

(٥) جامع البيان (١٩٩/١٩).

(٦) سورة البقرة.

يَرْنَهَا... ﴿٦٤﴾ وكلا المعنيين، مستفاد من الأسلوب، جارٍ على أصل معنى " كاد " وهو المقاربة ^(١) وقد عبر عن هذا المعنى بعضهم بقوله " ﴿لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾ ^(٢) لم يقرب من رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها، فهو من أن يراها أبعد، فهذا جاء على أصل الكلمة، وإن كانت اللغة قد جاء فيها (لم أكد أفعل) ^(٣) معناه: فعلته بعد جهد، أو تقاعد عنه، وعلى هذا قوله -تعالى-: ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ^(٤) ففي قوله -تعالى-: ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ^(٥) رجع معنى: وقوع الفعل، مع مقاربة عدم الفعل، قوله في السياق {فَدَبَّحُوا} وليس مجرد قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾. وفي قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا...﴾ جاءت على الأصل، نفي مقاربة الرؤية؛ وأنه لم يرها، ولم يكد ^(٥) ورد في " النحو الوافي ": " (كاد) كغيرها من الأفعال في أن معناها، ومعنى خبرها منفي، إذا سبقها نفي، خلافاً لبعض النحاة، فمثل: (كاد الصبي يقع) معناه: قارب الصبي الوقوع، فمقاربة الوقوع ثابتة، ولكن الوقوع نفسه لم يتحقق ^(٦) وإذا قلنا: (ما كاد الصبي يقع) فمعناه: لم يقارب الصبي الوقوع، فمقاربة الوقوع منتفية، والوقوع نفسه، منفي من باب أولى " ^(٧) وكذا قوله -

(١) جامع البيان (١٩٩/١٩).

(٢) سورة النور.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة البقرة.

(٥) (٥٩٦/٢).

(٦) النحو الوافي، لعباس حسن (٦١٨/١).

(٧) النحو الوافي، لعباس حسن (٣٩٤/١).

تعالى-: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) هو أبلغ في نفي الرؤية، من أن يقول: لم يرها، لأن من لم ير، قد يقارب الرؤية، بخلاف من لم يقارب.. " (٢) وهو ما يذكرني بتوجيه الله -تعالى- الأمر والنهي أحيانا على المقاربة، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ...﴾^(٤) وقوله عن الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام: ﴿رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...﴾^(٥) الاجتناب معناه عدم القرب، فكان الأسلوب البليغ في النهي، هو أن يقول: فلا تقربوه، ولذلك لم يقل: ولا تأخذوا مال اليتيم، ولم يقل: ولا تفعلوا الفواحش، ولم يقل: فلا تفعلوا شرب الخمر، ولعب الميسر، والذبح على النصب، والاستقسام بالأزلام، لأنه إذا كان القرب من الفعل حراما، ففعله حرام من باب أولى.

الرأي الراجح، على العموم، في معنى قول الله -تعالى-: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) أن خلاصة القول في المراد بقوله -تعالى-: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) أن الراجح في معناها: أنه لا يراها، ولا يقرب من رؤيتها، وإذا لم يقارب رؤيتها، فهو من أن يراها أبعد، وأن هذا التفسير متفق مع معنى "كاد" الذي يفيد المقاربة، ومتفق مع دلالة الأسلوب ﴿لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا...﴾^(١) الدال - كما تقدم - على نفي مقاربة الرؤية، فهو مع صحته، أبلغ في إفادة المعنى المراد المتفق مع السياق، الذي دل على استحكام الظلمة، وعلى نتيجة ذلك، وهو عدم قدرة الكائن

(١) سورة النور.

(٢) النحو الوافي، عباس حسن (١/٦١٨).

(٣) سورة الأنعام.

(٤) سورة الأنعام.

(٥) سورة المائدة.

في هذا المكان، على إِبصار يده، وإذا عجز عن إِبصار يده، فهو عن إِبصار غيرها أعجز، فيكون عاجزاً عجزاً تاماً عن الاهتداء إلى طريق النجاة، والفاكك عن ذلك المكان، المظلم، الموحش، المهلك. قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١) ختام خاص بـ(أعمال الكافرين) ويدل على فائدة في صورة (الكائن في الظلمات) وهي التأكيد على أن الكائن في ذلك المكان، لم يصله نور البتة، وأنه لا طريق له إلى النور، مع وجود تلك الحجب، ما دام في هذا الوضع، وذلك المكان، وقال الطبري: " أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده رائياً لها، لم يكدرها: أي لم يعرف من أين يراها، فيكون من المقدم الذي معناه التأخير، ويكون تأويل الكلام على ذلك: إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها " قلت: بما أن المعنى: لم يعرف من أين يراها، فهو يدل على أن من الناس صنف، يعود سبب بعده عن النور، لا إلى الحجب حوله، ولا إلى المكان الذي يعيش فيه، وإنما لأن الكيف مجهول له، وهم صنف المفكرين، الذين يتخذون قراراتهم في الحياة، بطريقة علمية، ولا يعولون على المواقف الاجتماعية، والمحيطين بهم من أسرهم، ومعارفهم، وأصدقائهم كثيراً، فالحقيقة بالنسبة لهؤلاء محجوبة عنهم، إذ لم تصلهم حقائق الإسلام، من الطريق الصحيح، فتلقفوه من أفواه الأعداء، من المبشرين، والعلمانيين، وأذئابهم، والمستشرقين وأتباعهم، ويمكن أن يروا نور الحق، إذا تعرفوا على الإسلام، من العلماء الراسخين في العلم، وقاوموا الضغط الاجتماعي، الذي قد يصل إلى تهديدهم بقتلهم، وقد يصل لسجنهم وتعذيبهم، وربما حتى موتهم، ويشهد له من الواقع، أن الكائن في تلك الظلمات، يمكنه رؤية يده، وكل ما حوله، إذا نزل في آلة حديدية، مقاومة لضغط الماء - الذي قد يقتله إذا تجاوز ٣٠ متراً - وأضاء

(١) سورة النور.

كشافته، فسوف يرى يده، وكل ما حوله، وتشير الآية إلى آيات الوحدانية الظاهرة في البحار، فكما يعرف المنعم النظر في حقائق الإسلام أنه الحق، إذا اطلع عليها من خلال المصادر الصحيحة، كذلك يدرك العارف باللغة العربية، المنعم النظر في أعماق تلك البحار اللجية، آيات الله العجيبة، ومسجلاته الفريدة، الشديدة الوضوح، والتي من أوضحها: تصوير الله لجلود الأسماك، والكائنات البحرية، برسوم على هيئة اسمه (الله) واسم نبيه (محمد) - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - بالخط والرسم العربي، الدال على نطق اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التفسير الإشاري للآية:

١- من وجوه الهداية بالآية: انظر إلى الآية الثانية: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۗ﴾ (١).

كلما هالك تمثيل في موقف، وانتقلت إلى غيره، وجدت الموقف أشد هولاً، وهل هناك أشد رهبة وظلمة، من أمواج بحر لجي بعضها فوق بعض يكتنفها سحب مظلم؟ إن موقف الكفار الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله، رهيب، أروع من أي شيء، وأعمالهم مظلمة، بل أشد ظلاماً من الليل، وليس أمامهم بصيص من النور، يهتدون به إلى سواء السبيل، ولكن لا يرى هذه الظلمات إلا من هو في نور السمع والعقل، ومن لم يجعل الله له نورا، فما له من نور النور، والجهل نوعان: جهل علم ومعرفة.. و جهل عمل وغي، وكلاهما له ظلمة، ووحشة في القلب، وكما أن العلم يوجب نورا وأنسا، فضده يوجب ظلمة، ويوقع وحشة، وقد سمي الله - ﷻ - العلم الذي بعث به رسوله: نورا، وهدى، وحياة، وسمى ضده:

(١) سورة النور.

ظلمة، وموتا، وضللا، قال الله -تعالى-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ^(١)﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ...﴾^(٢) وقال -تعالى-: ﴿أُوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

مِنهَا...﴾^(٣) وقال -تعالى-: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) وقال -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٥) وقال -تعالى-: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ^٦ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النُّورِ﴾^(٦)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نُورٌ مِّن نُّورٍ مَّصْفُورٍ﴾^(٧) وقال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّن أَمْرِنَا^٨ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا...﴾^(١) فجعله روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح،

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة الأنعام .

(٤) سورة المائدة .

(٥) سورة النساء .

(٦) سورة الأعراف .

(٧) سورة الشورى .

ونورا لما يحصل به من الهدى والرشاد، ومثل هذا النور في قلب المؤمن ﴿كَمْشَكْوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّمَّصْبَاحٍ فِي زُجَاجَةٍ زُجَاجَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (١) ومثل حال من فقد هذا النور، بمن هو في ظلمات بحر لحي، يغشاه موج، من فوقه موج، من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكده يراها.

المطلب الثالث: آراء المفسرين القدامى، في تفسير الآية:

قال الزمخشري: "... ظلمات متراكمة من لبح البحر، والأمواج، والسحاب " (٢) وقال الخازن: " ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ...﴾ (٣) أي: عميق كثير الماء ... معناه أن البحر اللحي، يكون قعره مظلماً جداً، بسبب غمورة الماء " (٤) وقال المراغي: " فإن البحر يكون، مظلم القعر جداً، بسبب غور الماء " (٥) وذكر القرآن أن للبحر العميق، موجاً يغشاه من أعلاه، قال الله - تعالى -: ﴿أَوْ

(١) سورة النور.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود، بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٢٨هـ (ط ١، مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، والمكتبة التجارية، سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦) (٣/٢٤٤).

(٣) سورة النور.

(٤) لباب التأويل، للخازن (ط ١، مطبعة التقدم العلمية، للطوبي) (٤/٦٨).

(٥) تفسير المراغي، للأستاذ: أحمد مصطفى المراغي (ط ٦، القاهرة، مصطفى الحلبي، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) (١٨/١١٤).

كُظِّلِمَتْ فِي نَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ...»^(١) وذكرت الآية وجود موج آخر، فوق الموج الأول، قال تعالى: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(٢) وهذه صفة للبحر، وهي: وجود موجين في وقت واحد، أحدهما فوق الآخر، وليست أمواجاً متتابعة على مكان واحد، والموج الثاني، فوق الموج الأول، وتشير الآية إلى أن فوقية الموج الثاني، على الموج الأول، كفوقية السحاب، على الموج الثاني، قال تعالى: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(٣) فذكرت الآية وجود موج يغشى البحر العميق، ويغطيه، كما ذكرت وجود موج ثان، فوق الموج الأول، وهذا يستلزم وجود بحر فوق (الموج الأول، والبحر العميق) وهو البحر السطحي، الذي يغشاه الموج الثاني، الذي فوقه السحاب، وأثبت القرآن دور هذه الحوائل الثلاثة، في تكوين الظلمات في البحار العميقة، وأن بعضها فوق بعض، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كُظِّلِمَتْ فِي نَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٤) وهو ما فهمه بعض المفسرين، كقول الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية: "ظلمة الموج الأول، على ظلمة البحر، وظلمة الموج الثاني، فوق الموج

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور

(٣) سورة النور

(٤) سورة النور.

الأول، وظلمة السحاب، على ظلمة الموج الثاني^(١). وهو كما ترى يقول
بموجين، وينحو ذلك قال ابن الجوزي^(٢) وقد حققت وجود ثلاثة أمواج.

- (١) معالم التنزيل، للبغوي (ط، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٤ هـ) (٢٩٧/٣).
(٢) زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن، بن علي، بن محمد، الجوزي (ط ٢، بيروت،
المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٤ هـ) (٥٠/٦).

الفصل الثاني

تفسير آية الظلمات، بغيرها من آيات سور القرآن الكريم

يوجد بين آياتنا، وبغيرها من آيات سورة النور، وبغير سورة النور، ارتباط موضوعي، وحيث اضطرنا البيان البلاغي، بالفصل الأول، تضمين الحديث عن الارتباط الموضوعي، بين آية ظلمات البحار، وآية النور، في سورة النور، فإنه لا مناص، من الحديث، عن الوحدة الموضوعية، الرابطة بين الآيات، والآيات التي وردت بغير سورة النور، ومنها سورة البقرة، ولنبدأ حديثنا، بالمبحث الأول.

المبحث الأول

الربط بين كلام ابن عباس -رضي الله عنه- في مثل الظلمات، وآية سورة البقرة

كلام ابن عباس -رضي الله عنه- هذا، فيه فائدة أخرى، ألا وهي الربط بين الكفار المعنيين في مثل الظلمات، والكفار الذين ورد ذكرهم في أوائل سورة "البقرة" في قول الله تعالى:- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾^(١). وأن الفريقين من جنس واحد، يجمع بينهما وجود الحجب المانعة، من الإيمان، والختم، والطبع من الله على قلوبهم، وأسماعهم، والغشاوة على قلوبهم، وتلبسهم بموجب ذلك.

وفي المراد بالكفار في آية سورة "البقرة" المتقدمة أقوال، أهمها قولان مشهوران، رجح كل منهما طائفة من أهل العلم:

القول الأول: أن هذه الآية، خاصة بصنف من الكفار، الذين كتب الله عليهم الشقاوة، وسبق عليهم الكتاب، يموتوا كفاراً، الذين هم أهل النار المخلدون فيها

(١) سورة البقرة .

(١) فيكون قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) نفي لوقوع الإيمان منهم مستقبلاً، ويكون المراد، بتلبسهم في الظلمات، في المثل، وبقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤) أن ذلك كائن منهم، وعليهم دائماً، لا ينفكون منه أبداً.

ويكون حال الكفار المعنيين، في آية سورة "البقرة" وفي مثل الظلمات، كحال من ذكرهم الله، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٥) قال ابن جرير - رحمه الله - موجهاً هذا القول: " أن الله - تعالى - ذكره، لما أخبر عن قوم من أهل الكفر، بأنهم لا يؤمنون، وأن الإنذار غير نافعهم، ثم كان من الكفار، من قد نفعه الله بإنذار النبي - ﷺ - إياه ؛ لإيمانه بالله، وبالنبي - ﷺ - وما جاء به من عند الله، بعد نزول هذه السورة - لم يجز أن تكون الآية نزلت، إلا في خاص من الكفار" (١) وقد رجح ابن كثير - رحمه الله - هذا المعنى، في تفسير آية سورة "البقرة" وما

(١) الأمثال القرآنية القياسية (٢/٦٢٥) .

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة النور.

(٤) سورة يونس.

(٥) سورة الكهف.

(٦) جامع البيان، لابن جرير الطبري (١/٢٥٣).

شاكلها، كما رجحه بعض المفسرين^(١) والفائدة من إخبار النبي ﷺ - بعدم إيمان صنف من الكفار مستقبلاً، تسليته، ومن يقتفي أثره، بالدعوة إلى الله، وحتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات، قال - تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾^(٢) انظر: ولا يهمنك ذلك. القول الثاني: أن الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) - التي ربط ابن عباس - رضي الله عنهما - بينها، وبين مثل الظلمات عامة، تشمل جميع الكفار " والمراد بها أن الإنذار وعدمه، سواء بالنسبة إلى الكافر، ما دام كافراً، لا ينفعه الإنذار، ولا يؤثر فيه " ^(٤) وقد رجح هذا المعنى، الإمام ابن تيمية^(٥) - رحمه الله - وذكر أنه على هذا القول، أكثر تفاسير السلف^(٦) وقال - رحمه الله -: " وآية البقرة مطلقة عامة، فإنه ذكر في أول السورة أربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وبضع عشرة آية في المنافقين، فبين حال الكافر المصر على كفره، أن الإنذار لا ينفعه، للحُجُب التي على قلبه، وسمعته، وبصره، وليس قال: إن الله لا يهدي أحداً من هؤلاء، فيسمع، ويقبل... فالكفار ما داموا كافراً، هم بهذه المثابة، لهم موانع تمنعهم من الإيمان، كما أن للمنافقين موانع، تمنعهم ما داموا كذلك، وإن أُذروا... فهذا مثل كل كافر، ما دام كافراً " ^(١) ويفرق - رحمه الله - بين النصوص التي يذكر فيها الكتاب السابق

(١) تفسير القرآن العظيم (١/١٩٢).

(٢) سورة فاطر.

(٣) سورة البقرة.

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/٥٨٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/١٩٢) ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/٥٨٤-٥٩٤).

(٦) مجموع الفتاوى (١٦/٥٨٤).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/٥٨٦).

عليهم بالكفر، وينص فيها على أنهم، حقت عليهم كلمة العذاب، وبين النصوص التي ذكر فيها مجرد الختم والطبع، قال - رحمه الله - موضحاً هذا المعنى: " وما ذكر من الموانع هي موجودة في كل من لم يقبل الإنذار.. فيمتنع قبول الإنذار بسبب تلك الموانع، ولكن هذه الموانع قد تزول، فإنها ليست لازمة لكل كافر، وإذا كان المانع، ما سبق من القول، الذي حق عليهم، فقد لا يزول أبداً، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٢﴾ ﴾^(١) وأما إذا اقتصر على ذكر الموانع التي فيهم، ولم يذكر ما سبق من القول، فهذه الموانع يرجى زوالها، ويمكن، ما لم يذكر معها ما يقتضي امتناع تغير حالهم، وحصول الهدى.. " ^(٢) ويؤيد ما ذهب إليه الإمام ابن تيمية، أن الله سمي هذه الحجب المانعة للكفار من الإيمان أقفالاً، في قوله سبحانه: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٣٣﴾ ﴾^(٣) والأقفال تفتح وتغفل، كما يؤيده في صورة المثل - مثل الظلمات - أن الذي يقابل حجاب الختم، والطبع، هو السحاب، والسحاب يتراكم، وينقشع، بأمر الله تعالى، قلت: والبحر يضطرب بالأمواج، ويهدأ -ولا ننسى أن التعبير بكلمة بحر، يقتضي مقابل الغلاف الجوي، وهو هواء بحر السحاب من فوقه، وهو بحر نور، يشير إلى أن الكائن في الظلمات وبحارها، إذا أحب الإيمان، أو مال إليه، جعل الله له سبيلاً هادياً، بحيث، يخرج منها، إلى بحر الهواء، ونوره، ومن استحسب الكفر على الإيمان، لم يهتد لذلك الطريق، المؤدي إلى النور.

(١) سورة يونس .

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٩٤/١٦).

(٣) سورة محمد الآية رقم (٢٤).

المبحث الثاني

ما يستفاد من المثل، وفق هذا الارتباط، عند ابن عباس - رضي الله عنهما -
فائدة الإخبار بأن الكافر لا ينفك عن كفره، وأنه يتقلب في ظلماته، ما دام كافراً،
مضروبة عليه الحجب، أمور من أهمها:

١ - تسليية النبي ﷺ - ومن سار على نهجه في الدعوة إلى الله، وإرشادهم إلى
عدم الإفراط في الحزن والشفقة على الكفار، إذا لم يستجيبوا. ٢ - أن يعلم
الداعي إلى الله، أنه ليس بدعائه، وإنذاره، وبيانه يحصل الهدى، ولو كان أكمل
الناس. ٣ - لا يداخل الداعية العجب، حيث يعلم أن الله، هو الذي يسر انتفاع
من انتفع بالموعظة، وكشف عنه حجب الظلمات. ٣ - لا ييأس الداعي، عندما
لا يرى لدعوته وبيانه قبولاً، حيث يعلم أن القلوب بيد الله، فقد لا يستجيب
المدعو، لا لنقص في الدعوة، لكن لفساد المدعو^(١)(٢). وثمة فائدة، دل عليها
المثل، من خلال إفادته أن الكفار في ظلمات شديدة، وريب، وخوف، وفزع،
وأهم لن يجدوا نوراً يهتدون به، وهذه الفائدة معتبرة من المثل، على كلا
المعنيين، سواء أكان في الكفار الذين حقت عليهم كلمة العذاب، ولازمهم
الحجاب، أم كان عاماً في سائر الكفار، ما داموا على كفرهم، هذه الفائدة هي:
أن الكافر في سعيه النظري العلمي، والتطبيقي العملي، في جهل وضلال، وإلى
جهل وضلال - ما دام أن جهده تم في ظلمة الكفر - فيما يتعلق بهداية
الإنسان، وسعادته، ونجاته في الآخرة، يقول الله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ
كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥٨٧/١٦).

(٢) الأمثال القرآنية القياسية (٦٣١/٢)

تَفْسُقُونَ ﴿١﴾ وثمرة هذه الفائدة: أن يحذر المسلمون أفراداً وجماعات، من الاغترار بزخرف قولهم، ويريق نظرياتهم، وما عندهم من التطبيقات السلوكية، والمعاملات الاجتماعية، والمالية، والأطروحات السياسية والاقتصادية، والآداب، وسائر العلوم الإنسانية الضالة، فإن تلك العلوم، والمفاهيم، والقناعات تمت في ظلمة الكفر وضلاله وحيرته وشتاته، لن يصلوا بها إلى خير وهدى، كما يجب الاستفادة من شهادات المفكرين المحايدون، في نقد تلك الحضارة الزائفة، ونتائجها المدمرة على الإنسان.

٤- ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (٢):

قال ابن جرير - رحمه الله -: " فكذلك هذا الكافر الضال، في ظلمات الكفر، لا يبصر رشداً، ولا يعرف حقاً، يعني في ظلمات الكفر، يقول: أفضاعة هذا الذي هديناه للحق، وبصرناه الرشاد، كطاعة من مثله، من هو في الظلمات مترد، لا يعرف المخرج منها " (٣) ومما ورد من الآيات في هذا المعنى، قول الله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) قال ابن جرير - رحمه الله -: " يقول: لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم، وغيرها، فيوفقه لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون " (١) (٢) وهذه القضية جد هامة.

(١) سورة الأحقاف.

(٢) سورة النور.

(٣) جامع البيان، لابن جرير (٨٩/١٢).

(٤) سورة البقرة.

(١) جامع البيان (٥٢٦/٥).

(٢) الأمثال القرآنية القياسية (٢٠٩/٢).

الفصل الثالث

الإعجاز العلمي في الآية

المبحث الأول

وجوه الإعجاز العلمي، في قول الله -تعالى- من الآية الكريمة: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي

نَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ

بَعْضٍ...﴾

ويحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول

تشبيه أعمال الكافرين في بحار الحياة بظلمات موجودة في البحار العميقة :

يقول الله -تعالى- : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي نَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا...﴾ (١).
هذه الآية تأت مباشرة، بعد آية سباقا عليها، تتحدث عن وصف أعمال

الكافرين، وتضرب له مثلا، بسراب ببيعة، ويعطف الله عليها آيتنا هذه، ويريد الله -سبحانه- منها، أن يضرب لنا مثلا، من أعجب الأمثال، من خلال تشبيهه شدة الظلام والسواد، الذي في هذه الأعمال الصادرة من الكافرين، التي ليس فيها خير، ولا بصيص نور، بـ " ظلمات البحر العميق " لا يستطيع الذي يغوص في البحر، إلا أن يغوص في حدود ٢٠ أو ٣٠ بالكثير، فهذه الحدود فيها نور بنسب، و(الظلمة الكاملة) للبحر تبدأ من ٣٠٠ مترا، وحتى عمق ١٠٠٠ متر داخل البحر.

لقد أثبت القرآن وجود ظلمات في البحر العميق، وقيد وصف البحر بلفظ (لجي) ليعلم قارئ القرآن أن هذه الظلمات، لا تكون إلا في بحر لجي، أي: عميق لا

(١) سورة النور.

يدرك قعره ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي شَرٍّ لُّجِّيٍّ...﴾^(١) ويخرج بهذا القيد البحر السطحي، الذي لا توجد فيه هذه الظلمات.

المطلب الثاني: من وجوه الإعجاز العددي في الآية:

اشتملت الآية على ذكر ظلمات الأعماق (السبعة) في أولها: ١- تقول في التنبيه على وجود أكثر من ظلمة، أو ظلمتان: ظلم، فإذا كانت الظلم كثيرة جداً، حسن التنبيه على ذلك باستعمال جمع الجمع، فتقول: ظلمات، وكذلك النهج في كل كلمة يوجد فيها جمع الجمع. ٢- في الآية إشارة إلى سبع ظلمات، لألوان الطيف المتعلقة بالأعماق، وخمس ظلمات، متعلقة بالحوائل (موج البحر اللجي، والفصل، والعوائق النباتية، والأحيائية، والموج السطحي، والسحاب) فكان من أوجه التناسب بين الكلمة والمعنى: التعبير بجمع الجمع، وهي كلمة (ظلمات) كما تبدأ الآية بجملتين هما ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي شَرٍّ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ وهي تتكون من سبعة مقاطع وقد ذكر (البر والبحر) في القرآن سبع مرات، وهو هنا المرة الوحيدة التي ذكر فيها مفرداً في جملتين من سبعة مقاطع وذكر مرة وحيدة مجموعاً في سورة لقمان بجملة (سبعة أبحر)^(٢).

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز العلمي في الآية: ويحتوي على النقاط الآتية

١- الإعجاز العلمي في استعمال كلمة (كاد):
بينت الآية، التدرج في اشتداد الظلام في البحار العميقة، باستعمال فعل من أفعال المقاربة، وهو (كاد) وجعلته منفياً، قال الله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا...﴾^(٣) فدل هذا الاستعمال الدقيق، على معنيين:

(١) سورة النور.

(٢) سورة لقمان.

(٣) سورة النور.

الأول: أن الذي يخرج يده في هذه الأعماق ؛ ليراها لا يراها، إلا بصعوبة بالغة
الثاني: الذي يخرج يده في هذه الأعماق ؛ ليراها، لا يراها البتة، لأن فعل
المقاربة (كاد) جاء منفيًا، فإذا نفيت مقاربة الرؤية، دلت على تمام نفي الرؤية،
والآية استعملت تعبيراً يدل على المعنيين معاً، فتكون الرؤية بصعوبة في
الأعماق القريبة، وتنتفي الرؤية تماماً في الأعماق البعيدة على عمق ١٠٠٠
متر تقريباً، كما مر بنا. فتأمل كيف جاء التعبير القرآني الموجز، دالاً على
المعاني الصحيحة المتعددة (١).

٢- التفسير العلمي للظلمات في الآية:

١- ظلمات الأعماق، في ضوء قول الله -تعالى-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ...﴾ (٢): أولاً: لاحظت البدء بالتعبير بكلمة (ظلمات) والانتهاه بكلمة
(نور) وهما محوري موضوع الآية، مما يفيد براعة الابتداء، وجمال الختام. ثانياً:
مجاورة كلمة (ظلمات) لكلمة (بحر) لا يفصل بينهما إلا حرف الظرف المكاني
(في) كما أن الله بين أن (ماء البحر)، ظرف مكان (للظلمات) أي أن الضوء
ينزل في (ماء البحر) فيخترقه بآثارة منه، حتى يحوله (ماء البحر) إلى (ظلمات)
بامتصاصه له، أو تشتيته إلا آثارة منه.

ثالثاً: نفي النور، عن لم يجعل الله له نورا في ظلمات الأعماق، بالبحر اللجي،
يشير إلى الأحياء البحرية، التي توجد في البحر اللجي، لأن الله جعل لأحياء
تلك الأعماق، نورا تبصر به طريقها وتدبر به أمرها، كما أن الإشارة إليها، فيها

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب (ط ١، دار التقوى،
٨ شارع زكي عبد العاطي، من شارع عمر بن الخطاب، عرب جسر السويس، سنة
٢٠٠٥هـ/٢٠٠٥م) صفحة (٦٤).

(٢) سورة النور.

إشارة ضمنية، إلى غيرها من الأحياء البحرية، التي لا تضيء، والتي تعد عاملا من عوامل حجب الضوء، وحدثت الظلمات.

رابعا: تدل الملاحظة الأولى على أن الظلمات معظمها ناشيء من عدم تصيير، أو جعل الله نورا، أو ضوءا حاصلًا، كلما تعمقنا في البحر، حتى نصل إلى البحر اللجي العميق، وهو ما أثبتته العلم وفصله، فالنور، أو شعاع الشمس، يخرق الماء، فيضيؤه على درجات، ثم تتوقف قدرته على النفوذ. خامسا: تدل الملاحظة الثانية على أن ماء البحر، سبب من أسباب نشأة الظلمات، حيث جعل الله لماء البحر قدرة على امتصاص الضوء، بل وإبطاء سرعته عند مروره، أو تشتيته عندما يخرقه بهذه الطاقة المحدودة، من القدرة على الاختراق. سادسا: جعل الله لأحياء البحر نورا تبصر به طريقها، وفيه إشارة ضمنية إلى بلايين الأحياء البحرية، والنباتية، التي تعد نوعا من أنواع الظلمة، وهي ظلمة الحواجب.

ولنبداً بتبيين ما يلي:

١- ضوء الشمس، ودوره في حدوث درجات الظلمات، وبيان مكونات أشعة الشمس، وكيفية حدوث الظلمات السبع الأولى، المرتبط حصولها، بوجود أطراف سبعة للضوء، تمر خلال الماء: أولاً: بيان مكونات أشعة الشمس: يجمل بنا كتمهيد أن نتعرف على مكونات ضوء الشمس، الذي يخرق ماء البحر، حيث تتكون الأشعة الصادرة من الشمس من كل الموجات الكهرومغناطيسية، ابتداءً من الأشعة الراديوية، إلى الأشعة السينية، إلا أن الغالب عليها، هو الضوء المرئي، وكل من الأشعة تحت الحمراء، والأشعة فوق البنفسجية، بالإضافة إلى بعض الجسيمات الأولية المتسارعة، مثل الإلكترونات، وأغلب الأشعة فوق البنفسجية، يردها إلى الخارج نطاق الأوزون^(١). ثانياً:

(١) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي .

كيفية حدوث الظلمات السبع الأولى، المرتبط حصولها، بوجود أطيف سبعة للضوء، تمر خلال الماء: لكل طيف، أو لون من الأطيف، أو الألوان السبعة للضوء، طول موجي خاص به، فاللون الأقصر، موجه يكون أكثر قدرة على اختراق ماء البحر، والأطول، موجه يكون أقل منه قدرة على اختراق ماء البحر، وبعبارة أخرى، كلما قصر طول الموجة، زادت قدرة اختراق الشعاع لماء البحر.

٢- تفصيل كيفية نشأة ظلمات البحر اللجي: السبع ظلمات، تنشأ من التلاشي التدريجي لألوان الطيف السبعة، وإليك درجات قدرة الأطيف، والألوان، على اختراق ماء البحر، بموجاتها القصيرة، والطويلة، وهنا نعرف سر مجي العبارة القرآنية، بكلمة (ظلمات) مجاورة لكلمة (بحر) وكذلك التعبير بجملة: ﴿أَوْ

كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرٍ﴾^(١) فالذي ينزل في البحر ضوء، وليس ظلمات، فوصفه بالظلمات، يعني أن تدرجه وتناقصه في القدرة على اختراق ماء البحر، سبب في نشوء الظلمات، لأن الظلمة، هي انعدام أطيف، أو ألوان الضوء السبعة، ولذلك اللون الأسود، يعرف بأنه انعدام الأطيف، أو الألوان، بسبب امتصاصه لجميع الأطيف، أو الألوان السبعة، للضوء التي تسقط عليه، ووصفه تعالى لماء البحر، الذي فيه الظلمات بأنه لجي، أي: عميق؛ لأن الظلمة أشد ما تكون فيه، حيث لا يتبقى من أثر الأمواج الضوئية، إلا ما يقدر بأرقام فائقة الدقة، لا تعني لنا إلا الظلمة الحالكة، فإليك تفاصيل نشأة الظلمات السبع، ودرجات اختراقها للماء: يسقط الضوء الشمسي على الماء، فيخترقه بأواجه الطيفية السبعة، على تدرج، مما يتسبب في نشوء الظلمات، وهي كالاتي:

١- لموجة اللون الأحمر: تخترق موجة اللون الأحمر، ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ٢٠ متراً تقريباً، من سطح البحر، ويختفي وجوده بعد ذلك، وينشأ عن

(١) سورة النور .

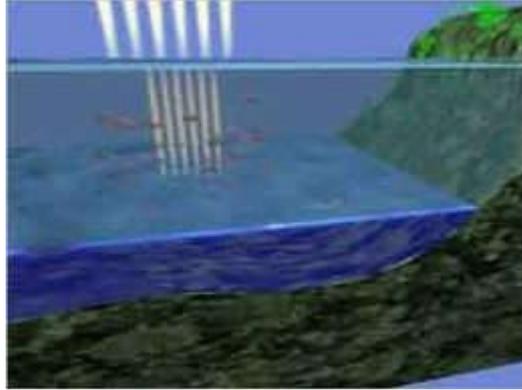
ذلك ظلمة اللون الأحمر، فمثلاً لو فرضنا أن غواصاً غاص على عمق ٢٥ متراً تقريباً وجرح، وأراد أن يرى الدم النازف، فسيراه بلون أسود؛ بسبب انعدام شعاع اللون الأحمر. ٢- موجة اللون البرتقالي: تخترق موجة اللون البرتقالي، حتى تصل إلى عمق ٣٠ متراً تقريباً، من سطح البحر، فتنشأ ظلماً أخرى تحت ظلمة اللون الأحمر، هي ظلمة اللون البرتقالي. ٣- موجة اللون الأصفر: تخترق موجة اللون الأصفر ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ٥٠ متراً تقريباً من سطح البحر، وتبدأ ظلّمته. ٤- موجة اللون الأخضر: تخترق موجة اللون الأخضر ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ١٠٠ متراً تقريباً من سطح البحر، فتبدأ ظلمة اللون الأخضر.

٥- موجة اللون البنفسجي: تخترق موجة اللون البنفسجي ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ١٢٥ متراً تقريباً من سطح البحر، وتبدأ ظلمة اللون البنفسجي. ٦- موجة اللون النيلي: تخترق موجة اللون الأزرق النيلي (الفتاح) ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ٢٠٠ متراً تقريباً من سطح البحر، وتبدأ ظلمة اللون الأزرق النيلي (الفتاح). ٧- موجة اللون الأزرق: تخترق موجة اللون الأزرق ماء البحر، حتى تصل إلى عمق ٢٠٠ متراً تقريباً من سطح البحر، مثل اللون الأزرق النيلي (الفتاح) تقريباً^(١) ولذلك يبدو ماء البحار والمحيطات باللون الأزرق؛ لتشتت هذا الطيف، من أطياف اللون الأبيض في المئتي متراً العليا من تلك الكتلة المائية، فهو يتشتت فيها جمعها، وهكذا تتكون ظلمات الألوان لشعاع الشمس ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٢) بسبب اختلاف قدرات أشعة اللون،

(١) ما بين المعكوفين، منقول من موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لعبد المجيد الزنداني
(٢) سورة النور.

والطيف الضوئية، على اختراق الأمواج -تبعاً لاختلاف أمواجها طولاً وقصراً- على اختراق ماء البحر (١) وينعدم الشعاع على مسافة ١٠٠٠ متر.

٣- ماء البحر، ودوره في نشوء الظلمات: ١- التعبير بجملة ﴿ظُلِّمَتْ فِي حَمْرٍ﴾ (٢) تفيد أن ماء البحر ظرف مكان للظلمات، وبالتالي يشعر ذلك بأن ماء البحر، سبب للظلمة المكونة من سبع ﴿ظُلِّمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾ (٣) لأنه يمتص موجات ضوء الشمس شيئاً فشيئاً، حيث يمتص موجة اللون الأحمر، فلا تصل إلا إلى عمق ٢٠ متراً تقريباً، من سطح البحر، ويختفي وجوده بعد ذلك، وينشأ عن ذلك ظلمة اللون الأحمر، فمثلاً لو فرضنا أن غواصاً غاص على عمق ٢٥ متراً تقريباً وجرح، وأراد أن يرى الدم النازف، فسيراه بلون أسود؛ بسبب انعدام شعاع اللون الأحمر، وهكذا بقية ألوان ماء البحر، وموجة اللون البرتقالي، وماء البحر، واللون الأصفر، وماء البحر، واللون الأخضر، وماء البحر، واللون البنفسجي، وماء البحر، واللون النيلي، وماء البحر، واللون الأزرق (٣).



الضوء يحاول دخول الأمواج الداخلية، وتحت البحر المظلم

(١) موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: البحر اللجي، إعداد: مجدي عبد الشافي

عبد الجواد.

(٢) سورة النور.

(٣) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.

٢- يقول الله -تعالى-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ...﴾ (١)

في ظلمات البحر اللجي يمتص الماء، ما يؤثر من الضوء، حتى يصل إلى عمق ألف متر تقريباً (٢) فلو غاص غواص، وأخرج يده ليراها في تلك الظلمة، لم يراها البتة، وللمواد الصلبة العالقة بالماء، ومختلف صور الأحياء، التي تعيش فيه، وما تفرزه من مواد عضوية، والأملاح الذائبة، دور في اشتداد ظلمة البحر اللجي (٣).

٣- مناط الإعجاز العلمي، لقول الله -تعالى-: ﴿بَحْرٍ لُجِّيٍّ...﴾ (٤):

ومعنى بحر لجي، أي بحر به صوت، يشير إلى انعدام الرؤية، واعتماد تلك المخلوقات، التي تعيش بتلك المناطق على الذبذبات الصوتية ؛ لعدم وجود أجهزة رؤية بصرية (٥). وتبين الإعجاز من خلال العناصر الآتية:
أولاً: معنى كلمة (لجي) هي كتل الماء: أثبت العلم أن الماء يتميز في البحار العميقة، والمحيطات، إلى الكتل الآتية: كتل سطحية، وكتل متوسطة، وكتل شبه قطبية، وكتل حول قطبية، وهو ما لم يعرف إلى من خلال التصوير بالأشعة، عبر الأقمار الصناعية.

(١) سورة النور.

(٢) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي .

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٤).

(٤) سورة النور.

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٣٥٣/٢).



ثانيا: (لجي) تعني: البعد الشديد للأعماق: هذه الأعماق التي تحدث عنها القرآن الكريم، ما استطاع البشر أن يصلوا إليها، إلا بعد اختراع " اللبس الحديدي " الذي يحمي الغواص، في هذه الأعماق من الانفجار، بسبب ضغط الماء، إن الآية هنا تتحدث عن " **﴿ظُلِّمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾** " (١) فما المقصود بهذه الظلمات؟! اكتشف العلم شيئا عجيبا، لا يحدث إلا في " البحار العميقة " لأنه مرتبط بالأعماق، هذا الأمر، هو ضعف " طيف النور " عن مقاومة امتصاص الماء له، كلما غصنا في عمقه، حتى يختفي، كما بينا عند الحديث، عن ظلمات الأعماق، من قبل، وسبب وصف البحر بكلمة اللجي، دون غيرها، كعميق، هو أن الماء لا يتمايز إلى تلك الكتل، إلا في البحار شديدة العمق، ومن

(١) سورة النور.

هنا، فإن الأمواج الداخلية، لا تتكون إلا في مثل تلك البحار العميقة، ولا تتكون في البحيرات، والخلجان الصغيرة.

ثالثاً: مناظ الإعجاز، في الفارق الرقمي، والعصري: لقد ذكر القرآن الكريم معلومات دقيقة، عن وجود ظلمات في البحار العميقة، وأشار إلى سبب تكوينها، بوصف ماء البحر، بأنه (الجي) يتداخل بعضه في بعض، وهو تعريف للأمواج، بلفظ قريب، فالموج وإن كان يغشى البحر، إلا أنه جزء من ماء البحر، وما سبق من المعلومات، لم يكتشفه الإنسان، إلا بعد أن ابتكر أجهزة للبحث العلمي، تمكنه من الوصول إلى هذه الأعماق، ودراسة هذه الظواهر، وبعد أن استغرق البحث فترة طويلة، امتدت لثلاثة قرون من الزمن، واحتشد لها مئات الباحثين والدارسين، حتى تمكنوا من معرفة تلك الحقائق (وإن الناظر بعين التأمل، إلى عالم البحار، في القرن الثامن عشر الميلادي، يجده عالماً مخوفاً، محاطاً بالخرافات والأساطير، التي كانت تسود الحضارات القديمة، وكان الرومان، يعتقدون بأن قمم الأمواج جياذ بيضاء، تجر عربة الإله (نبتون) بزعمهم، وكانوا يقومون بالطقوس والاحتفالات؛ لإرضاء الآلهة، وكانوا يعتقدون بوجود أسماك مصاصة، لها تأثيرات سحرية على إيقاف السفن، واليونانيون كانوا يعتقدون بأن حدوث الدوامات البحرية، بسبب وجود وحش، يسمونه كاريبيدس، يمتص الماء، ثم يقذفه، ولم يكن بمقدور الإنسان معرفة أعماق الشوطيء الضحلة، والمياه الراكدة، ناهيك عن معرفة البحار العميقة، والحركات الداخلية في هذه المياه، كما لم يكن بإمكان الإنسان الغوص في هذه الشواطئ، إلا في حدود عشرين متراً،

ولثواني معدودة ؛ ليعاود التنفس من الهواء الجوي، وحتى بعد ابتكار أجهزة التنفس للغواصين، لم يتمكن من الغوص أكثر من ثلاثين متراً^(١).
فمن أخبر محمداً -صلى الله عليه وآله وسلم- بهذه الأسرار، في أعماق البحار، في وقت كانت وسائل البحث العلمي فيه معدومة، والخرافة، والأسطورة، هي المسموعة، وهو الرجل الأمي، في أمة أمية، وبيئة صحراوية، ولم يتيسر له ركوب البحر طوال حياته الزكية ؟ إن هذه الآية وأمثالها، تحمل دلائل عديدة على نبوة محمد -ﷺ- وثبوتها، وقال الخبير راو: " من المؤكد أن هذا ليس علماً بشريا " إنه لدليل قاطع، على أن هذا العلم، الذي حملته هذه الآية، قد أنزله الله، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، كما قال: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) فالذين غاصوا في زمن النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ما استطاعوا أن يغوصوا إلى عمق ٢٠ متراً أو ٣٠ متراً بالكثير، لأنه عند تجاوز هذا العمق، يكون مستوى الضغط الجوي ؛ ضغط جوي، ويجعل النيتروجين يذوب في الدماء، ويؤثر في الجسم، ويفقد السيطرة عليه^(٣) وهذا العمق، فيه نور، في حين أن (الظلمة الكاملة) لا تكون في عمق من ٣٠٠ إلى ١٠٠٠ متراً، وهذه الأعماق، ما استطاع البشر أن يصلوا إليها، إلا بعد اختراع الغواصات الحديدية الثقيلة القوية، التي تحمي الغواص من الضغط العالي داخل تلك الأعماق^(٤) لا يحدث

(١) (أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج) بقلم الشيخ : عبد المجيد الزنداني، رئيس جامعة الإيمان بصنعاء، ومجلس شوى حزب الإصلاح الإسلامي، ومؤسس الهيئة العالمية، للإعجاز العلمي، في القرآن والسنة، في مكة سابقا .

(٢) الفرقان .

(٣) موسوعة ويكيبيديا، علوم البحار، البحر المسجور .

(٤) موسوعة ويكيبيديا، علوم البحار، البحر المسجور، وموقع جامعة الإيمان، لعبد المجيد الزنداني، باختصار وتصرف .

هذا الأمر في بحيرة صغيرة، بل في البحار العميقة ؛ لأنه مرتبط بالظلمات، يقول الله -تعالى-: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١).

٤- أنواع الظلمات، وفق مفهوم الآية، ودلائلها الإعجازية:

١-ظلمة البحر اللجي، التي سبق بيان إعجازها. ٢- ظلمات أمواج البحر اللجي، في ضوء قوله -تعالى-: ﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي مَحَرِّ لُجِّيٍّ...﴾ (٢): قوله - تعالى-: ﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي مَحَرِّ لُجِّيٍّ...﴾ (٣) يعني وجود أمواج للبحر اللجي، فلا بحر بلا موج، ولا موج مائي بلا بحر، فحيث ذكر أحدهما، دل على وجود الآخر، بدلالة الالتزام، ولم تنص الآية على أمواج البحر اللجي لأمرين: أولهما: ظهور العلم به، فلا يوجد بحر، بلا أمواج. وثانيهما: البحر اللجي، يمتد لقعر المحيط، والذي يصل في المتوسط العام إلى ٥ كيلوا مترا، فطبقة الموج بالنسبة له، طبقة يسيرة جدا، بالرغم من طولها الذي يعد بالكيلو مترا، وارتفاعها الذي يعد بعشرات الأمتار، ثم إن علينا تبين سبب نشوء أمواج البحر اللجي، وارتباطها بإحداث درجة من درجات الظلمة، فوق ظلمة البحر اللجي العميق (توجد أمواج داخلية تغطي البحر العميق وتغطيه، وتبدأ من عمق ٧٠ متراً إلى ٢٤٠ متراً، وكغيره من الأمواج، تعلق ملايين الملايين من الكائنات الهائمة في البحار، على أسطح موجاته، ومع ميل الأمواج، واضطرابها، وتلاطمها، تنشأ الظلمة، ويتراوح طول الأمواج الداخلية، ما بين عشرات، إلى مئات الكيلو مترات، كما يتراوح ارتفاع معدل هذه الأمواج، ما بين ١٠ إلى

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

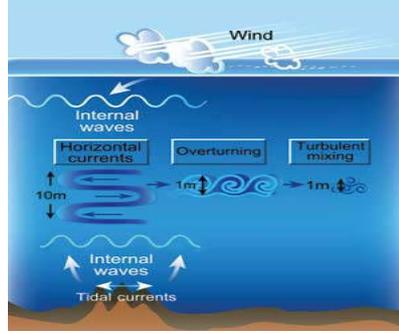
١٠٠ متر تقريبا) (١). ٣ - ظلمة البحر الحاجز، في ضوء قول الله - تعالى -:
﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾ (٢) حيث قال الله - تعالى -: ﴿يَغْشَاهُ...﴾ (٣) أي:
يغشى البحر اللجي موج، أي يعلوه موج، فهذا يعني أنه موج البحر، الذي فوقه
فالبحر والموج، والموج والبحر، لا ينفكان، فما الموج إلا اضطراب جزء من ماء
البحر، واختلاطه، وارتفاعه، وانخفاضه، وتلاطمه، وإنما اعتد الله بالموج، الذي
يغشى البحر البرزخي (الفاصل) ولم يورد ذكر البحر، الذي تحته لأمرين:
أولهما: أن موج البحر البرزخي الفاصل، هو المؤثر الأكبر في إحداث الظلمة،
باضطرابه، واختلاطه، واعتصافه، وتلاطمه. وثانيهما: أن البحر البرزخي
الفاصل، طبقة رقيقة جدا، لا تستطيع الذبذبات العادية، أن تلتقط منها إلا أمتارا
قليلة فقط، بالمقارنة مع مئات الأمتار فوقها، ومئات الأمتار تحتها، فكأنه يكاد
يكون مجرد طبقة تغشى المنطقة السفلى، بما فيها من البحر اللجي، والموج
الذي يعلوه الموج الأسفل، وتغطيها فقط، فكان في عدم ذكره تصريحاً إشارة إلى
رقة طبقاته بالنسبة للبحرين تحته وفوقه، وهذا البحر الذي يعلو البحر اللجي،
هو المنطقة الحاجزة بين طبقتين من المياه المختلفة، في الحرارة، والكثافة،
وجزيئات الأملاح الذائبة فيه، والضغط، والمد، والجزر، وتأثير الرياح،
والامتصاص بواسطة جزيئات الماء، والمواد الصلبة العالقة به، وما تفرزه من
مواد عضوية، ودرجة الإضاءة الشمسية، والكائنات التي تعيش في كل منهما

(١) ما بين القوسين، منقول، من موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم : عادل
الصعدي .

(٢) سورة النور .

(٣) سورة النور .

(١). ويتشكل هذا السطح الفاصل، بين الكثافات المختلفة، عند منطقة الهبوط الحراري الرئيسي، فيعمل كبرزخ، وحاجز، يفصل مياه السطح الدافئة، عن مياه الأعماق الباردة، وقد يتراوح سمك طبقة المياه الدافئة من بضع عشرات، إلى مئات الأمتار (٢).



وهي إحدى التفسيرات، لقول الله - تعالى - : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (٣)
فالبحر سواء كان طباقا مع بحر آخر، أو متجاورا معه، فإن الحاجز يتواجد بينهما، فتفسير البحر بأنه ماء مالح، يؤيده قصر بعض علماء اللغة معنى كلمة البحر، على الماء المالح، ويبدأ عند عمق ٢٠٠ مترا المنحدر الحراري، الذي يفصل بين المياه السطحية الدافئة، ومياه الأعماق الباردة (٤).

(١) موسوعة مقاتل من الصحراء، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المبحث الثامن : ظلمات البحر، بتصرف شديد. والإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عذب،

صفحة (٦٧).

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عذب، صفحة (٦٧) وموسوعة مقاتل من الصحراء، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المبحث الثامن : ظلمات البحر ٤ - أمواج البحار. أ كيف تتكون الأمواج الداخلية .

(٣) سورة الرحمن .

(٤) سورة الرحمن .

٤- ظلمة أمواج البحر الحاجز، في ضوء قول الله تعالى: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾^(١): لا موج بلا بحر، ولا بحر بلا موج، وحيث تحدثنا عن البحر

الذي يعلو البحر العميق، وهو الحاجز والفاصل بين بحرين، أحدهما سطحي، والآخر عميق، فلنتحدث عن ظلمات أمواج البحر الحاجز، حيث إنه باستعمال الخلايا الكهروضوئية، في التصوير كشف العلماء، عن وجود أمواج عاتية في البحار العميقة، تتولد على امتداد السطح البرزخي الفاصل، وكغيرها من الأمواج، تعلق ملايين الملايين من الكائنات الهائمة في البحار، على أسطح الموجات الداخلية، وهي مع عتو الموج، واضطرابه، وميلانه، والتطامه، تحدث نوعا من الظلمة، تساعد على امتصاص أمواج الطيف الشمسي^(٢).

٥- ظلمة البحر السطحي، في ضوء قول الله تعالى: ﴿مِن فَوْقِهِ

مَوْجٌ...﴾^(٣): لا موج بلا بحر، والبحر الذي من فوقه موج، يعطوه السحاب، هو البحر السطحي بأواجه السطحية، الملامسة لهواء الغلاف الجوي للأرض، لا موج بلا بحر، ولا بحر بلا موج، وللبحر دور في أحداث الظلمات، بيناه من قبل، حيث يمتص ما ينفذ من الأمواج للداخل تدريجيا، حتى يفقد على بعد ٣٠ مترا، ولو في حالة هدوء البحر، وسكون الموج، وللمواد الصلبة العالقة بالماء، والأملاح الذائبة، ومختلف صور الأحياء، التي تعيش فيه، وما تفرزه من مواد عضوية، دور في إحداث الظلمة، وإعاقة الضوء وامتصاصه^(٤).

(١) سورة النور.

(٢) موسوعة مقاتل من الصحراء، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ثانيا : أوجه الإعجاز العلمي ١- أقسام البحر ٢- ظلمات البحر ب - ظلام الموج الداخلي، الذي يعلو البحر اللجي العميق .

(٣) سورة النور.

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٨).

٦- ظلمة موج البحر السطحي: وفيه المحاور الآتية:

المحور الأول: كيفية عكس الموج السطحي للضوء، ونسبة ما ينعكس منه لموج البحر دور في حدوث الظلمة، حيث تمثل الأسطح المائلة للأمواج السطحية في البحار اللحية العميقة، سطحاً عاكساً لأشعة الشمس، ويشاهد المراقب على الساحل، مقدار لمعان الأشعة التي عكستها هذه الأسطح المائلة للأمواج السطحية. فضلاً عن معاناة القسم النافذ انكسارات كثيرة بسبب تعدد السطوح الكثيرة التي يسقط عليها وتحديدها أو تقعرها واختلاف جهاتها، فيتشتت إلى كل جهة لا يصل منه إلا جزء ضئيل إلى عمق قليل يمتصه الماء^(١) وكغيره من الأمواج، تعلق ملايين الملايين من الكائنات الهائمة في البحار، على أسطح موجاته، وقد تمتد الموجة الداخلية، إلى سطح البحر، فتبدو تلك الكائنات الهائمة، كأوساخ متجمعة على سطح البحر، مما يجعلها تمثل مع ميل الموج الداخلي، حائلاً لنافذ الأشعة إلى البحر العميق، فهي مع ما يعكسه ميلان الموج، تمثل نوعاً من الظلمة، وإن كانت أخف الأنواع، كما يغطي الموج السطحي صفحة البحر، ويمثل حداً فاصلاً بين الماء والهواء، وعند وصول ما تبقى من أشعة الشمس، إلى أسطح البحار والمحيطات، فإن ٣٥ % من (الأشعة تحت الحمراء) فيها تستهلك في تبخير الماء، وفي عمليات التمثيل الضوئي، التي تقوم بها النباتات البحرية، أما ما يصل إلى سطح البحار والمحيطات، مما تبقى من الأشعة المرئية (أو الضوء الأبيض) فإن الأمواج السطحية للبحار تعكس ٥ % أخرى منها، فتحدث قدراً آخر من الظلمة النسبية، في البحار والمحيطات، والأمواج السطحية، يصاحبها العواصف البحرية، والتي

(١) براهين على أن الإسلام، هو الحقيقة، التي يبحثون عنها، أو الإسلام وحقائق العلم، لمحمود عبد الرؤوف قاسم (ط ٤، دار البشير مركز جوهره القدس التجاري العبدلي، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م) صفحة (٥٥).

يحركها كل من الرياح والجاذبية، والهزات الأرضية، ودوران الأرض حول محورها، من الغرب إلى الشرق، وتعبير الله بالفعل (يغشى) في قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾^(١) وقوله: ﴿يُغْشِي أَلِيلَ النَّهَارِ...﴾^(٢) يشير إلى دوران الأرض أمام الشمس، والذي هو سبب حدوث الليل والنهار، كما يشير إلى علمه سبحانه، بتسببه في حدوث الأمواج، وكذلك تأثيره في البشر، باضطراب الماء في الجسد، وكثرة حدوث الجرائم، والذي أوحى الله به إلى نبينا، من سن صوم الثلاث البيض من كل شهر ١٢، ١٣، ١٤ علاج معجز، وأما حركات المد والجزر، الناتجة عن جاذبية كل من الشمس والقمر، ويشير إليه قول الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٣) لأن القمر الذي يتسبب في حدوثهما نور، قال الله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وغير ذلك من العوامل المعروفة، وغير المعروفة، وهذه الأمواج السطحية، هي أحد العوائق أمام مرور كل أشعة الشمس الساقطة، على أسطح البحار والمحيطات، في مائها، والوصول إلى أعماقها، ولذلك فهي أحد أسباب ظلمة تلك الأعماق، بالإضافة إلى تحلل تلك الأشعة إلى أطياها، وامتصاصها بالتدريج في الماء.

(١) سورة النور.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة النور.



حينما يضطرب سطح البحر تنشأ الأمواج. وأهم ما يميز حركة الموجة، أنه حينما تمر على سطح الماء بسرعة معينة ، فإن المياه نفسها تعلو وتخفض في حركه متسقة منتظمة، وهناك ارتباط بين طول الموجة وقوتها، وعمق المياه، وهو يقاس بعمليات حسابيه، تفسر الاختلاف في اتجاه، أو خط سير الأمواج التي تنشأ في مياه عميقة ، وحين تصل إلى مياه ضحلة.

تنشأ الأمواج عادة من هبوب الرياح، والعواصف، فمعظم الأمواج ناتجة عن تأثير حركة الرياح على الماء ؛ لذا قسمت إلى الأنواع التالية:

١-أمواج سريعة، يتراوح سرعتها بين ٤٠ إلى ٦٠ ميل في الساعة، وتتكون في البحار المفتوحة، تحت تأثير الرياح الشديدة ٢- أمواج متوسطة السرعة بين ٢٠ إلى ٤٠ ميلاً في الساعة، كما تقل سرعة الرياح نسبياً، وتحت تأثير العواصف، تتكون أمواج محدودة السرعة بين ٥ إلى ٢٠ ميلاً في الساعة، ٣- تظهر خارج نطاق الرياح التي كونتها في البداية أمواج هادئة، وهي التي تقل سرعتها عن ٥ أميال في الساعة، وتتكون تحت تأثير الهواء شبه الساكن، كما هو الحال في أمواج بعض البحيرات، وكما تختلف الأمواج في سرعتها، فإنها تختلف أيضاً في أشكالها، ومن ثم يمكن تقسيم الأمواج حسب الشكل، إلى ما يلي:

أ. الأمواج القبابية الشكل، وتتميز بأنها محددة الارتفاع. ب. الأمواج الحلزونية، وتتكون في البحار المفتوحة، وتتميز بأنها غير محددة الارتفاع.

ج. الأمواج الفردية المنعزلة، وتتكون في المياه الضحلة، وبالتالي لا تتلاحق، ولا يتابع بعضها بعضاً، وقد تنشأ الأمواج من فعل الزلازل على قيعان البحار والمحيطات، وتعرف بالأمواج التسونامية، وتتعرض شواطئ اليابان، وجزر هاواي، لأثر هذه الموجات المدمرة، وإذا كانت الأمواج تنشأ في الأغلب الأعم، نتيجة لحركات الرياح، والعواصف، والزوابع، فإنها تنشأ أيضاً، نتيجة لحركة

المد، والجزر، وتعرف حينئذ بالموجات المدية، وهنا يحسن الحديث عن نور بحر السحاب، في ضوء قول الله -تعالى- ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(١) السحاب هو موج بحر الهواء، وبحر الهواء، هو سبب النور، فهو الذي يعكس ضياء الشمس ونور القمر، وينشره لنبصر ما حولنا، قال الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾^(٢) والغلاف الجوي للأرض به الكثير من الغبار، والأملاح، والعوادم المتطايرة، التي تتواجد، حتى تشاهد خلال الضوء، وهي تتحرك في كل اتجاه. ٧-ظلمة جسم السحاب، في ضوء قول الله -تعالى- ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(٣) وفيه المحاور الآتية:

المحور الأول: بيان ظلمة السحب: السحاب نوع من حالة تواجد الماء، على هيئة بخار متكاثف، هلامي ليس بغازي، ولا سائل، ولا متجمد غالباً، وتقول الموسوعة البريطانية: " غالباً ما تكون البحار والمحيطات العميقة، مغطاة بسحب ركامية كثيفة، تحجب قدراً كبيراً من ضوء الشمس، كما يظهر في أكثر صور الأقمار الاصطناعية

وتعكس السحب، وتشتت نحو ٣٠% من أشعة الشمس، وحين تمر من خلالها تمتص ما بها من بخار الماء، وجزيئات الهواء، وهباءات الغبار، وغيرها من نوى التكثيف الأخرى، حوالي ١٩% منها، فهي تحجب بالانعكاس، والتشتيت، والامتصاص، حوالي ٤٩% من أشعة الشمس، فتحدث قدراً من الظلمة النسبية

(١) سورة النور.

(٢) سورة نوح.

(٣) سورة النور.

(١) تعتبر الظلمة الأولى للحوائل، والتي نراها ظلالاً لتلك السحب، على سطح الأرض والبحار^(٢).

المحور الثاني: أسباب تكوين الظلمة، من جهة السحاب بالنسب: يقول الله - عز من قائل -: ﴿مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(٣) والسحاب فوق بحر الهواء، وبحر الهواء وأنواعه السحابية، تأتي من فوق هذه الأمواج السطحية للبحار، ومن أنواع السحاب السحاب الركامي، ذي الأكمام والأثقال، والركام، فالسحابة الواحد من السحاب الركامي، يمكن أن تغطي مدينة كاملة، مثل مدينة القاهرة، فتبلغ المساحة التي تغطيها ١٥ ألف كيلو مترا مربعا^(٤)

الضمير في كلمة (فوقه) من قول الله - تعالى -: ﴿مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(٥)
عائد على موج البحر السطحي، بقول الله - تعالى -: ﴿مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(٥).

المحور الثالث: من حكم الله، في تقدير حركة السحب والأمواج: لو تجمعت السحب دون تحرك، لكان ذلك ناتجا عن عدم توازن توزيع الألواح الصخرية للأرض، مع الجبال، وعدم توازن توزيع طبقات الأرض ومكوناتها، وما يتبخر منها من الغازات، ولغرقت مناطق من الأرض، فلا تصلح للحياة، ولتجمدت، ولاستعرت مناطق أخرى من الحر، فخلت من الحياة، وفي تحريك السحب

(١) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.

(٢) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.

(٣) سورة النور.

(٤) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.

(٥) الموسوعة الذهبية، في إعجاز القرآن، والسنة النبوية، للدكتور: أحمد مصطفى متولي (ط)، ١، دار ابن الجوزي، درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٢٢) صفحة (١٨٥).

تفريقها، وتقسيمها ؛ لتصيب كل مجموعة منها بلدا ميتا، فينزل به الماء، فتحيا بإذن الله، قال الله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ أَلْنُشُورُ ۗ﴾ (١) فترى أن من حكم الله في تقدير حركة الأمواج، تحريك السفن، وسيرها، والمساعدة في هجرة الأسماك، وتوزيع الأرزاق، وعدم ركود الماء، وتغير رائحته، والمساعدة في زيادة نسبة البحر، وعدم زيادة نسبة المياه المتجمدة على أسطح المحيطات.

المحور الرابع: اختلاف نسب ما تحجبه السحب من الضوء، وتسببه من الظلمة حسب أنواعها: تعريف السحب: الغيوم عبارة عن تجمع مرئي لجزيئات دقيقة من الماء أو الجليد أو كليهما معا تبدو سابحة في الجو على ارتفاعات مختلفة كما تبدو بأشكال وأحجام متباينة (٢) تختلف أنواع السحاب، فهناك السحاب الركامي الجبلي، والمزني، وهذه صورة له:



والسحاب الركامي المتوسط في العادة، تكون خطوط متعرجة متلاصقة، كالصحراء، وهي سحب متوسطة الارتفاع، وتبدو في المناطق القطبية، والمعتدلة، والمدارية، وتتكون من قطرات مائية، تتحول إلى بلورات ثلجية، عند انخفاض درجة الحرارة.

(١) سورة فاطر.

(٢) مملكة المعلم، ملتقى تربوي تعليمي، أنواع السحب والغيوم بالصور، ومنتديات مكشاة، موسوعة أنواع السحب.



طريقة تشكلها:



(١)

المزن الطباقية، وهي تبدو على شكل طبقة رمادية اللون، تحجب الشمس،
وتصبح غالبا سحبا منخفضة، يصاحبها هطولات مطرية وتلجية.

(١) منتديات مملكة المعلم، ملتقى تربوي تعليمي، أنواع السحب والغيوم بالصور.



السحب المرتفعة، وتقسّم إلى ثلاث مجموعات، منها مجموع القزح: وهو سحاب، رقيق، مرتفع، على ارتفاع ٦ كيلو مترا، يأخذ شكل تعرجات، ومنحنيات سباعية، وثمانية، صلاة الله رب العالمين، ولا يغطي السماء كلها، لونه يغلب للبياض، يتركب من بلورات ثلجية دقيقة الحجم، لا يؤدي إلى أي هطول، ولكن ظهورها يعد نذيرا وبشيرا لحدوث تغييرات في الجو^(١).



(١) منتديات مملكة المعلم، ملتقى تربوي تعليمي، أنواع السحب والغيوم بالصور.



(١) وبالتالي تختلف درجة الظلمة، التي يحجبها السحاب تبعاً لكل نوع، ومن ثم تختلف درجة الظلمة على صفحات البحار، من مكان إلى مكان، بسبب حجب السحب، تبعاً لاختلاف أنواع السحاب، وكميته، وكثافته، ومساحته، وبالتالي ينشأ عن السحب أنواع، ودرجات من الظلمات، وحسب صفاء الماء، وخواصه، ونقائه، وقوة سطوع الشمس فيه. والسحب الركامية، هي نفسها في داخلها ظلمة لكثافتها، وتراكمها، وامتداد مساحتها.

﴿مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾ (٢) والسحاب فوق بحر الهواء، ولم يورده الله - تعالى - لعدة أمور: أولها: جريا على التناسب، مع عدم ذكره لبحر الماء، عند إشارته للبحر البرزخي، والبحر السطحي. وثانيهما: الضوء هو الذي ينشر النور والضياء، ويعكسه، فكوكب الأرض هو الوحيد الذي يوجد به طبقة النهار، وباقي الكواكب ترى الضوء ساقطاً على الأرض، ثم لا يرتفع حولك، فلا ترى شيئاً مما له ارتفاع فوقها؛ لعدم وجود طبقة النهار، أو الهواء بتلك النسب التي تكونه، ومن ثم فمن شدة وضوح وجود بحر الهواء تحت السحاب، ولأنه هو الذي يحمل السحاب، اكتفى بالإشارة بقوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (٢) بخلاف الحديث عن وجود (بحر لحي) من فوقه (بحر داخلي)

(١) منتديات مملكة المعلم، ملتقى تربوي تعليمي، أنواع السحب والغيوم بالصور.

(٢) سورة النور.

فهو لم يكتشف إلى حديثاً، فاحتاج للدلالة عليه، مرة مصرحاً بكلمة (بحر) ومرتين مصرحاً بكلمة (موج). وثالثها: الإشارة إلى دورة المطر، فالله يقول: ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(١) وهو الموج السطحي ﴿مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾^(٢) والظلمة في السحاب تعني تراكمه، وحجبه لضوء الشمس، واستعداده للإمطار، وكونه يأت بعد ذكره الموج السطحي، وأن السحاب فوقه، دون التصريح ببحر الهواء، يشير إلى أن الماء الذي فوقنا بالسحاب، إنما تكون من بخار الموج السطحي، الصاعد إلى طبقات الجو العليا، تحت ظروف الضغط المتفاوتة، انخفاضاً وارتفاعاً، مع انتشار هباءات من الملح والغبار، التي تمثل النوى، الذي تلقحه الأبخرة، بمعنى أنها تتجمع حوله، وتتكاثر أفرادها، وتتكاثر، حتى تكون حبة البرد، والتي تكبر خمسة عشر مليون مرة تقريباً ليتمكن رؤيتها كقطيرة^(٣) فالسحاب صورة مختلفة لماء البحر، الذي تبخر من البحر، وماء البحر يتجدد بما يتساقط من مطر السحاب، وبذلك تكون الآية قد أشارت ضمناً، إلى طبقة الهواء، الذي يحتوي نوى التكثف، والغبار، والأملاح وغيرها، والسحاب، والمطر، كما أن الضوء يقل في الشتاء، وتتراكم السحب، فتكون نوعاً من الظلمة، وهي الأجواء المناسبة للمطر، كما تزداد الأبخرة الصاعدة من أسطح البحار، وأمواجها المتلاطمة، فلولاً تلاطم الأمواج الداخلية، وكونها عاملاً من عوامل التحريك للأمواج السطحية، وميلانها، ما تبخرت أسطح البحار بالقدر الكافي عند سقوط الأشعة الحمراء عليها، وبالتالي لن يكفي المطر النازل من السماء لأحياء الأرض، وفي النهار يزداد الجو حرارة، وتقل الأمطار وتندر، وظلمة السحب،

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) من علوم الأرض القرآنية - الثوابت العلمية في القرآن الكريم - للدكتور : عدنان الشريف (ط ٣، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ٢٠٠٠م) صفحة (٨٦).

سبب من أسباب الظلمات المتسببة في نزول المطر، بل هي فيها ظلمات، فهي في أعلى نقطة، فلها دور في ظلمة الموج السطحي، وبحره، وموج البحر الحاجز، وبحره، وموج البحر العميق، وبحره.

٨- ظلمات طبقات ما فوق السحاب، في ضوء قول الله -تعالى-: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾^(١): ظلمة ما بعد السحاب ؛ فأشعة الشمس تتكون من كل الموجات الكهرومغناطيسية، ابتداءً من الأشعة الراديوية، إلى الأشعة السينية، إلا أن الغالب عليها هو الضوء المرئي، وكل من الأشعة تحت الحمراء، والأشعة فوق البنفسجية، بالإضافة إلى بعض الجسيمات الأولية المتسارعة، مثل الإلكترونات، وأغلب الأشعة فوق البنفسجية، يردها إلى الخارج نطاق الأوزون، وتسمح بمرور النافع منها، بنسبة نافعة، كحجب نسبة كبيرة من الأشعة تحت الحمراء، والفوق بنفسجية، والأوزون، وغيرها^(٢) قال الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾^(٣) كما قال الله -تعالى- : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾^(٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا...﴾^(٤) وليس كذلك، وإنما هي مناطق مظلمة، فطبقات الغلاف الجوي العليا، تقل فيها طبقة النهار، التي تمتص أشعة الشمس وتعكسها، فتظلم، أما البناء الخارجي، فتختفي فيه طبقة النهار، كما قال الله -تعالى-:

(١) سورة النور.

(٢) موقع نداء الإيمان : الحاوي في تفسير القرآن الكريم، صفحة (١٥٧٨٣).

(٣) سورة الأنبياء.

(٤) سورة الحجر.

﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(١) لا يزين صفحاتها السوداء إلا مصابيح

النجوم، التي تزدان به تلك القبة السماوية العملاقة.

٥- تتبع النسب الدقيقة، لوجود الضوء في الماء وأبعاده، وأطوال وارتفاعات الأمواج، مما يزيد وصف البحر باللجي عمقا في معناه الإعجازي وفيه المحاور الآتية:

المحور الأول: بيان تلك النسب الدقيقة لوجود الضوء: تنخفض الإضاءة، بنسبة ١٠% على عمق ٣٥ مترا^(٢) ومعظم موجات الضوء المرئي تمتص على عمق ١٠٠ متر تقريبا من مستوى سطح الماء، في البحار، والمحيطات، ويستمر ١% منها إلى عمق ١٥٠ مترا، و٠,٠١% إلى عمق ٢٠٠ مترا في الماء الصافي الخالي من العوالق، وعلى الرغم من السرعة الفائقة للضوء (حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية في الفراغ، وحوالي ٢٢٥,٠٠٠ كيلو متر في الثانية في الأوساط المائية) فإنه لا يستطيع أن يستمر في ماء البحار والمحيطات، لعمق يزيد على الألف متر، فبعد مائتي متر (٢٠٠) من أسطح تلك الأوساط المائية، يبدأ (الإظلام شبه الكامل) حيث لا ينفذ بعد هذا العمق سوى أقل من ٠,٠١% من ضوء الشمس، وهنا إذا كان صاحب المثل في تلك المنطقة، وأخرج يده، فإنه لا يراها؛ لاختفاء معظم موجات الضوء المرئي على بعد ١٠٠ متر تقريبا، ويظل هذا القدر الضئيل من الضوء المرئي، يتعرض للانكسار، والقبض اليسير، والتشتت، والامتصاص، حتى يتلاشى تماما على عمق لا يكاد يصل إلى ١٠٠ مترا واحدا تحت مستوى سطح البحر، أي بعد ٣٠٠ مترا، حيث توجد (ظلمات كاملة) لأنه لا يبقى من أشعة الشمس الساقطة على ذلك السطح، سوى واحد من عشرة تريليون جزء منها، ويكاد يختفي الضوء على بعد ٣٠٠ مترا وهو ما

(١) سورة النور.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٥).

أكدت عليه الآية فيما يخص ضوء الشمس، بقول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٦٤﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٦٥﴾﴾^(١).

المحور الثاني: بيان اختلاف طول وارتفاع الأمواج: ويبدأ البحر الفاصل على عمق ٢٠٠ متراً، وتبدأ الأمواج الداخلية للبحر اللجي، والتي يصل طولها من ١٠ إلى ١٠٠ كيلوا متراً، وارتفاعها إلى ٢٠٠ متراً على بعد ٤٠ متراً من سطح البحر، فالأعماق تحسب هكذا ٤٠ متراً من سطح البحر + ٢٠٠ متراً = ٢٤٠ متراً، وبما أن المنطقة الفاصلة تبدأ من مسافة ٢٠٠ متراً من سطح البحر، فإن الطبقة الفاصلة، تبعد عن سطح البحر اللجي، بحوالي ٤٠ متراً، والعلماء يقولون: إن ارتفاعها يصل إلى ٦٠ متراً، فالحسابات التقريبية صحيحة، ولما كان متوسط أعماق المحيطات يقدر بنحو: ٣٧٩٥ متراً، وأن أقصاها عمقاً يتجاوز ١١ كيلو متراً بقليل (١١،٠٣٤ متر)^(٢) فإن بين الحدين تتراوح أعماق البحار، والمحيطات من: أربعة وخمسة كيلو مترات في المتوسط، إلى ثمانية وعشرة كيلو مترات في أكثرها عمقا، وهذا معناه أن أعماق تلك المحيطات تفرق في ظلام دامس.

وينعدم الضوء تماماً على عمق ١٠٠٠ متر تقريباً^(٣) وحيث يربط القرآن بين الظلمات والنور، وحيث إن الأسماك تتواجد على أعماق، تبدأ من ٦٠٠ إلى

(١) موقع مقاتل من الصحراء، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المبحث الثامن، ظلمات البحر، ومنتديات ستار تايمز، أرشيف الدراسة، والمناهج التعليمية، بعنوان: ماذا يحدث للضوء عندما يقابل سطح البحر، والأمواج السطحية؟ بتصرف.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٤).

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٤).

٢٧٠٠ متراً من السطح^(١) فإن الظلمات المتحدثة عنها، لها امتداد من أعماق ٦٠٠ متراً وحتى ٢٧٠٠ متراً^(٢) أي ١١٠٠ متراً تقريباً، وهي من ضمن المناطق الموصوفة بالبحر اللجى. ٢- ثم تبدأ المنطقة الفاصلة بين البحرين السطحي والعميق، إنها منطقة بحر الامتداد الحراري، وفيها يتكون الموج الداخلي. ٣- ثم تزيد المسافة لقوله -تعالى-: ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(٣) ٢٠٠ متراً، حيث الموج السطحي^(٤).

المحور الثالث: مقارنة طول، وارتفاع الأمواج الداخلية، بطول وارتفاع الأمواج السطحية: تتكون الأمواج الداخلية عند الحدود الفاصلة، بين كل كتلتين مائيتين مختلفتين في الكثافة، وهي أمواج ذات أطوال وارتفاعات، تفوق أطوال وارتفاعات الأمواج السطحية، بمعدلات كبيرة، حيث تتراوح أطوالها بين عشرات، ومئات الكيلو مترات، وتصل سعتها (أي ارتفاع الموجة) إلى مائتي متر، وتتحرك بسرعات تتراوح بين ٥،١٠٠ سنتيمتر في الثانية، لمدد تتراوح بين ٤ دقائق، وخمس وعشرين ساعة^(٥) في حين بلغت أطول موجة مرصودة، من أمواج البحر السطحي ١٢ عشر متراً.

٦ - أسباب حدوث الظلمات، من جهة الماء، وكائناته، ومناطه الإعجازي: ويدور حول المحاور الآتية:

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٥).

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٤).

(٣) سورة النور.

(٤) موقع جامعة الإيمان، للشيخ: عبد المجيد الزنداني، بعنوان: ظلمات وأمواج البحار العميقة.

(٥) موقع جامعة الإيمان، ونداء الإيمان، موقع لكل المسلمين، كتاب الحاوي، في تفسير القرآن الكريم، صفحة (١٥٧٨٣).

المحور الأول: أسباب الظلمة، من جهة الماء: ١- ظلمة الموج السطحي، قال
الله -تعالى-: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾ (١) تسقط
أشعة الشمس على الماء، فتعكس المياه الأمواج بنسبة كبيرة منه إلى الخارج،
ويمتص الماء القسم الآخر. بحر ظاهري. ٢- ظلمة البحر الحاجز: موج
داخلي. ٣- ظلمة البحر اللجي: موج داخلي.

المحور الثاني: أسباب الظلمة، من جهة الكائنات البحرية:

١- ظلمة الكائنات الهائمة. ٢- ظلمة الأحياء البحرية. تمتليء البحار ببلايين
الأحياء المنتشرة في أعماقها، حتى إنه ليجود في أعماق الظلمات أحياء بحرية
مضيئة.

المحور الثالث: تاريخ اكتشاف ظلمات البحار:

تشير هذه الآية الكريمة إلى الظلمة التامة، فوق قيعان البحار العميقة
والمحيطات، مؤكدة أنها ظلمة مركبة، يلعب كل من السحب، والأمواج السطحية،
والأمواج الداخلية دوراً أساسياً في إحداثها، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان، إلا
في مطلع القرن العشرين.

٧ - مناظ الإعجاز، في قول الله -تعالى-: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ (٢):

ويدور الحديث فيه، حول المحاور الآتية:

المحور الأول: وجود آلات لمعرفة أمواج داخل البحار، وفي عمقها، دليل على
إعجاز معلومة الآية، وسبقها لعلوم عصرها: أخبر القرآن عن وجود موج داخلي
في البحار، لم يعرفه الإنسان، إلا بعد عام ١٩٠٠م، كما أخبر بأن هذا الموج
الداخلي، يغطي البحر العميق، الأمر الذي لم يعرف إلا بعد صناعة الغواصات،

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، مما يثبت إعجاز القرآن الكريم^(١). المحور الثاني: أنواع الأمواج ومناطق إعجازها:

١- أمواج الأعماق البحرية الداخلية قال -تعالى-: ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾^(٢): ظلمات سباعية الأعماق: وهي سبع ظلمات، بعضها فوق بعض، تنشأ من التلاشي التدريجي، لألوان الطيف السبعة: معنى قوله -تعالى-: ﴿ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾^(٣) ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ وهو البحر العميق، أي: أعماق ليس فيها نور. يضرب الله لنا مثل من أعجب الأمثال، ليس فيه نور، ولا بصيص من نور... يقول: إن أعمال الكافر، كظلمات في بحر لحي عميق..... وذلك أن النور عندما يخترق ماء البحر، فإنه يتحلل إلى ألوان عديدة هي: الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والأزرق النيلي، والبنفسجي، والبرتقالي^(٤). تغطي الأمواج الداخلية البحر العميق، وتمثل حداً فاصلاً بين البحر العميق، والبحر السطحي، كما يغطي الموج السطحي، سطح البحر، ويمثل حداً فاصلاً بين الماء والهواء، ٢- سبب تكون بحرين، هو اختلاف الماء في صفاته، بين البحر السطح، والحاجز، والعميق، فموج البحر الحاجز، يميل فاصلاً بين البحر السطحي والعميق، وهو ما يستوجب إعطاء نبذة عن صفة الأمواج الداخلية للبحر العميق. صفة الأمواج الداخلية للبحر العميق: يتراوح طول الأمواج الداخلية ما بين عشرات، إلى مئات الكيلو مترات، كما يتراوح ارتفاع معدل هذه الأمواج، ما بين ١٠ إلى ١٠٠ متر تقريباً، ويشتد الظلام في البحر العميق، مع ازدياد عمق البحر، حتى يسيطر

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) من علوم الأرض القرآنية، للدكتور : عدنان الشريف، صفحة (١١٧).

الظلام الدامس، الذي يبدأ من عمق (٢٠٠ متر) تقريباً^(١). ٣ - ظلمات الموج السطحي: أسباب تكوين الأمواج السطحية في البحار، والمحيطات، للظلمة: ضعف ضوء الشمس المرئي، بمروره في ماء البحار، والمحيطات: عند وصول بقية أشعة الشمس إلى الجزء السفلي من الغلاف الغازي للأرض، فإن الماء السطحي، أو الأسطح المائلة للأمواج السطحية، تعكس أشعة الشمس، وتمتص الأعماق المائية، القسم الآخر تدريجياً^(٢) فالجزء المرئي من أشعة الشمس، الذي ينفذ إلى كتل الماء، في البحار والمحيطات، يتعرض لعمليات كثيرة من الانكسار، والتحلل إلى الأطياف المختلفة، والامتصاص^(٣) ويستمر الطيف الأزرق بعد ذلك، ليتم امتصاصه على عمق يزيد قليلاً على المائتي متر، ولذلك يبدو ماء البحار، والمحيطات، باللون الأزرق؛ لتشتت هذا الطيف من أطياف الضوء الأبيض في ٢٠٠ متر العليا، من تلك الكتل المائية^(٤). ٤- أنواع الأمواج السطحية، وصلاتها لخالفها - عز وجل - : تصلي الأمواج لله - تعالى - كما هو شأن الكون من الذرة إلى المجرة، قال الله - تعالى - : بعد آياتنا هذه مباشرة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ...﴾ موجات ميكانيكية، وهي أنواع: أمواج مستعرضة.

وهي تشبه أمواج الطير:



- (١) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، عادل سعدي.
- (٢) من علوم الأرض القرآنية، للدكتور : عدنان الشريف، صفحة (١١٧).
- (٣) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، عادل سعدي.
- (٤) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، عادل سعدي.



توهن الضوء بشكل كبير على أعماق في الماء

ثم إن الأمواج ذاتها، تصلي لله -تعالى- قياما، وركوعا، وسجودا، وهي في الظلمات، وهي في النور، فلها صلاة ليلية، وصلاة نهارية، ومن لم يجعل الله له نور، يهتدي به إلى توحيد الله، بالعبادة، والربوبية، ويقوم أركان الدين الخمس، التي يقيمها الدين كله، فما له من نور، وهذه صور الأمواج: فهذه صورة، لموجة طويلة عرضية، يوازي فيها مستوى التموج، مستوى الانتشار، وهي قائمة:



وهذه حالتها راکعة:



وهذه حالتها ساجدة:



وقد تتجمد هذه الأمواج الطولية العرضية، فترى لها صورة، وهي قائمة بين يدي
الله - تعالى -:



وهذه صورة لها وهي متجمدة، راکعة بين يدي الله - تعالى -:





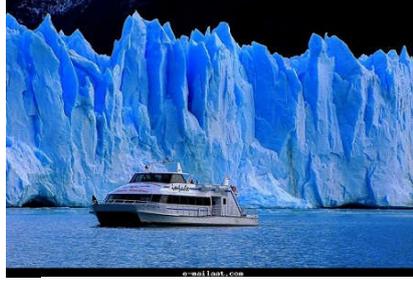
وهذه صورة لها وهي، متجمدة، ساجدة، بين يدي الله -تعالى-:



وهذه صورة، لجبل جليد، قائم بين يدي الله -تعالى-:



وهذه صفوف جبال، قائمة، بين يدي الله -تعالى-:



وهاتان صورتان، لجبل من الجليد، ساجد لله -تعالى-:



وهذا جبل جليد، يتشكل على هيئة (الله) من كثرة خشوعه، عند ذكره لله -
تعالى- في صلاته:



٨- أضواء أخرى من التفسير العلمي- لقول الله تعالى-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي تَحْرِيرِ لُجِيِّ...﴾^(١): أستنبط من الآية المحاور الآتية:

المحور الأول: السبب في عدم ذكر أمواج البحر العميق، وعدم ذكر البحر البرزخي: ١-بحر لحي عميق، وله أمواجه، لم تنص الآية على أمواجه لأمرين: أولهما: ظهور العلم به، فلا يوجد بحر بلا أمواج. وثانيهما: البحر اللحي يمتد لقرع المحيط، والذي قد يصل لأكثر من ٣٥٠٠ متراً، فطبقة الموج بالنسبة له طبقة يسيرة جداً، ثم قال الله عن هذا البحر المتموج: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ أي: يغطيه موج^(٢) ٢- وهو (موج) منطقة البرزخ الفاصلة، ولم يذكر (بحرها) لأنها هي نفسها تعتبر بحراً، فالموج جزء من البحر، فلا (موج) إلا في (بحر)، وإنما أورد الله (الموج) الذي يغشى البحر البرزخي (الفاصل) ولم يورد ذكر (البحر) الذي تحته، لأمرين سبق إيرادهما^(٣). المحور الثاني: أسباب تكوين الأمواج الداخلية للظلمة:

بالإضافة إلى تحلل الضوء الأبيض، عند مروره في ماء البحار والمحيطات، فإن السبب الرئيسي في إحداث الإظلام التام، فوق قيعان البحار اللحية (أي الغزيرة الماء، لعمقها، حتى لا يكاد يدرك لها قاع) هو عدم تجانس تلك الأمواج الداخلية^(٤) وبيانه في العناصر الآتية:

العنصر الأول: اختلاف مكونات البحار الكيميائية، من أسباب تمايزها، واختصاصها بأواجها: تتكون هذه الأمواج الداخلية بين كتل الماء، ذات

(١) سورة النور.

(٢) لسان العرب (١٥/١٢٦).

(٣) تأمل صفحة (٦٧).

(٤) التفسير، من شريط إعجاز القرآن في الأرض لـ د. طارق السويدان " ومن كتاب التفسير الميسر، للشيخ، والدكتور : عائض القرني، موقع شبكة الإقلاع.

لومن لم يجعل الله له نورا يهديه به من كتابه وسنة رسوله ﷺ - فلن يهتدي
أبدا، ولن يجد أحدا يهديه من دون الله ﷻ - سبحان الله.
العنصر الثاني: آثار اختلاف مكونات البحار الكيميائية:

تم اكتشاف الموج الداخلي في عام ١٩٠٤م (ويعود الفضل في تفسير ظاهرة
الأمواج الداخلية للدكتور (ف.و. إيكلان) الذي فسرها ما يعرف بظاهرة المياه
الراكدة، التي توجد في الفيوردات -الخلجان النرويجية- فالسفن التي تبحر في
هذه الخلجان، تفقد فجأة قدرتها على التقدم، فتقف ساكنة في (المياه الراكدة) ثم
العالم النرويجي (فريتيوف نانسن) تعرض سفينته (فرام) لهذه الظاهرة شمال
جزيرة (تايمير) خلال عملية استكشاف القطب الشمالي في السنوات
(١٣١١.١٣١٤هـ) (١٨٩٣.١٨٩٦م) التي حاول خلالها أن يجتاز منطقة
القطب، فشجع (نانسن) (إيكلان) على البحث، وكان في رأي (إيكلان) أن ظاهرة
المياه الراكدة ها تنجم عن: الأمواج الداخلية القصيرة التي تتولد على السطح
الفاصل بين الكثافة الضحلة للمياه العذبة السطحية، ومياه المحيط التي تحتها،
وهي ما تحدث عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ
عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ...﴾^(١) ثم وصف (أوتو باترسون) تأثير الأمواج الداخلية
الطويلة التي تحدث في أعماق البحار على هجرة الأسماك، وفي فصل الصيف
تحمل الأمواج الطويلة (التي يدوم زمنها بين ٨ و ١٠ أيام) المياه ذات الملوحة
البحرية الطبيعية (على شكل تيار) إلى الكاتيغات والخلجان، مما يدفع المياه
السطحية العذبة إلى الخارج، الأمر الذي أدى إلى اختفاء مجموعات الأسماك من
نوع هيرينج، التي توجد بالقرب من سواحل جوتلاند اختفاء تاماً داخل خلجان
الساحل الغربي للسويد، كما لو أنه تم بفعل مضخة تفريغ هائلة^(٢).

(١) سورة الشورى .

(٢) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم : عادل الصعدي .

٩ - مناط الإعجاز في قول الله تعالى:- ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(١):

الأمواج لا يمكن رؤيتها بطريقة مباشرة، وإن أمكن إدراك حركتها بأجهزة ميكانيكية، وذلك بواسطة عدد من القياسات للاضطرابات التي تحدثها تلك الأمواج الداخلية، وهذا أيضاً مما يجعل الإشارة القرآنية إليها إعجازاً لا ينكره إلا جاحد، كذلك يبدأ تكون الأمواج الداخلية على عمق ٤٠ متراً تقريباً من مستوى سطح الماء في المحيطات، حيث تبدأ صفات الماء فجأة في التغير من حيث كثافتها، ودرجة حرارتها، وقد تتكرر على أعماق أخرى كلما تكرر التباين بين كتل الماء في الكثافة، وأما المنطقة الفاصلة، فتبدأ على عمق ٢٠٠ متراً، حيث المنطقة الفاصلة بين البحرين (منطقة الهبوط الحراري) وبما أن الأمواج الداخلية، تبدأ على عمق ٤٠ متراً، لأن المؤثرات في حدوثها خارجية وهي الشمس، والرياح والأعاصير، وبما أن ارتفاعها يصل إلى ٢٠٠ متراً، فإن ارتفاع الطبقة الفاصلة يبدأ من ٤٠ متراً. وعجز الإنسان في زمن الوحي، ولقرون متطاولة من بعده، عن الغوص إلى هذا العمق، الذي يحتاج إلى أجهزة مساعدة خاصة؛ مما يقطع بإعجاز علمي في هذه الآية الكريمة، بإشارتها إلى تلك الأمواج الداخلية، وهي أمواج لم يدركها الإنسان إلا في مطلع القرن العشرين (سنة ١٩٠٤م)^(١).

١٠ - تاريخ الإعجاز بقول الله تعالى:- ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾^(٢). بعد اختراع الأقمار الصناعية، وتصوير البحار، والمحيطات في عصر النهضة العلمية الحديثة، تبين أن البحار والمحيطات العميقة، مغطاة بسحب ركامية كثيفة،

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

تعكس وتحجب قدراً كبيراً من ضوء الشمس، ولم تكن هناك آيات متوفرة زمن النبي الأمي العربي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-.

١١- مناط الإعجاز، في قول الله -تعالى-: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ

بَعْضٍ...﴾^(١): جاء تعبير ﴿ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(٢) ليصف الواقع

في هذه البحار بدقة بالغة، وبما أن هناك أمواجاً على حافة الجزء العميق المظلم، من البحر لا نراها، وهناك أمواج على سطح البحر لا نراها.. فوصف أمواج البحر العلمي الدقيق أنها ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾^(٣).. وهذه حقيقة علمية مؤكدة، ولذلك قال البروفيسور دور جاروا عن هذه الآيات القرآنية: " إن هذا لا يمكن أن يكون علماً بشرياً " ^(٤).

المطلب الثاني: الرد على الشبهات، فيما يخص القدر السابق، المبين إعجازه، من الآية الكريمة: ويدور الحديث فيه حول محورين:

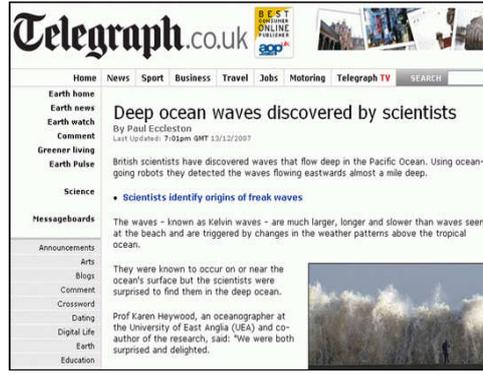
المحور الأول: شبهة القول بأن الموج السطحي، هو حركة ماء البحر، وماء البحر، حتى أعماق تصل لـ ٢٠ متراً شفافاً، فكيف يسمى ظلمة؟ والرد عليها علمياً: نشرت جريدة تيلي غراف في ١٣/١٢/٢٠٠٧ من مقال بعنوان: " العلماء يكتشفون الأمواج العميقة في المحيط " **Deep ocean waves discovered by scientists**

(١) سورة النور.

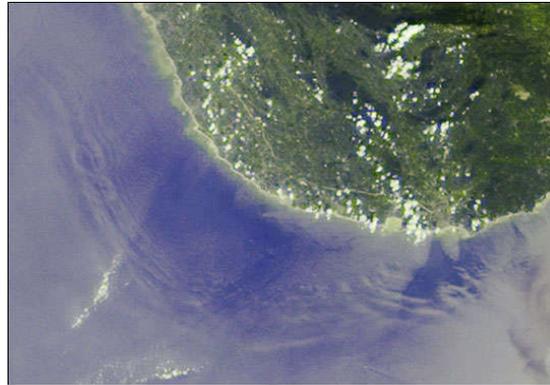
(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، آيات الله في البحار، رقم الفتوى : ١٥٣٥٠.



وجاء في هذا الخبر، أن اكتشاف هذه الأمواج العميقة في المحيط، قد سببت مفاجأة للعلماء ؛ لأنهم لم يتوقعوا أن يشاهدوا أمواجاً، تشبه تلك التي نعرفها على سطح البحر، في أعماق المحيط، لنقرأ: علماء بريطانيون، اكتشفوا أمواجاً، تتدفق في أعماق المحيط الهادئ ! لقد جاء على لسان البرفيسورة Karen Heywood من جامعة UEA ومؤلفة مشاركة في هذا البحث: " لقد كنا نتوقع وجود شيء ما على عمق ٥٠ متراً، كما أشارت إلى ذلك الصور القادمة من الأقمار الاصطناعية، ولكن الذي أثارنا حقيقة، أن نجد هذه الأمواج على عمق ١٥٠٠ متراً، وهذا يفتح باب الاحتمالات، على أن هناك أمواجاً على أعماق أكبر " ويؤكد العلماء، أن هذا الاكتشاف، سيشكل قفزة في دراسة المحيطات، والبيئة بشكل عام.



فالمفاجأة، هي أن العلماء لم يتوقعوا أن تكون عميقة لهذا الحد، أليس هذا

ما حدثنا عنه القرآن بدقة، بقول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي نَجْرِ
لُجِّيٍّ...﴾ (١) أي: عميق، وكيف علم النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه
وسلم - أن من يعيش في البحر اللجي العميق، سوف يغشاه الموج العميق،
ويكون في ظلام دامس؟ وكيف يشبه الكافرين والمشركين، بأنهم في ظلمات،
كتلك الظلمات البحرية العميقة، بكل تلك الثقة القوية، وكيف يربط صدق دعوته،
بما لم يعرف في عصره، بل كيف عرفه أصلاً؟ وصدق الله القائل: ﴿وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٢) (٣) والموج لغة: سمي بذلك؛ لأنه من
ماج يموج، أي يختلط، ويتقلب، وتيارات الحمل تحدث اضطراباً، وانتقالاً شديداً
مفاجئاً، من مكان لآخر، وموج البحر العميق، يشبه موج البحر السطحي في
هيئته، واختلاطه، وإن زاد عنه في ارتفاعه، وطوله، فأطوال الموج الداخلي، من
عشرات، إلى مئات الكيلو مترات، وارتفاع يصل إلى ٢٠٠ متراً. المحور الثاني:
شبهة القول، بأن الموج السطحي، هو حركة ماء البحر، وماء البحر، حتى
أعماق تصل لـ ٢٠ متراً شفافاً، فكيف يسمى ظلمة؟ والرد عليها علمياً: تسمية
هذه الحجب ظلمة، هو باعتبار أنها مسببة لها، والسياق يدل على أن الظلمة،
لم تحدث من شيء واحد، وإنما ساهمت هذه العوامل مجتمعة، في تكوينها،
واستحكامها (٤) فالسحاب، والموج الأول، والموج الثاني، والموج الثالث، كل منها
عزل شيئاً من الضوء، فأحدث ظلمة فيما تحته، وهذا المعنى تماماً هو ما يقرره
قانون انعكاس، وانكسار الضوء،

(١) سورة النور.

(٢) سورة غافر.

(٣) موقع عبد الدايم الكحيل، باختصار.

(٤) (٥٨٨/٢).

عند مروره في الأوساط المختلفة، وخصائصه:

١- إذا سقطت حزمة من الأشعة الضوئية، على سطح فصل بين وسطين شفافين، فإنها تنقسم إلى حزمتين، حزمة تنعكس، وأخرى تنفذ إلى الوسط الثاني، وتنكسر داخله^(١) والأشعة المنعكسة: هي أشعة مرتدة إلى الوسط الأول، ويوجد عوامل في طبيعة (الظلمات التي بها الكائن) تساعد على انعكاس الضوء، وزيادة انكساره، وعدم نفوذه إلى أسفل، منها:

٢- الأشعة المنكسرة: هي أشعة تنفذ إلى الوسط الثاني، إلا أنها تنكسر فيه، ونظراً لتعدد الأوساط المائية داخل البحر، بسبب اختلاف كثافتها، فإن عملية الانعكاس والانكسار تتكرر، وكمية الضوء النافذ تقل، ومعلوم أن ماء البحر ذو كثافته عالية؛ لوجود الأملاح الذائبة فيه. " ذلك لأن:

٣- سماكة الوسط، تزيد من انكسار الأشعة الضوئية، وتقلل من نفوذها

إلى أسفل، فسماكة الأمواج - في البحار العظيمة - كبيرة، فقد تصل سماكة كل من الموج السطحي، والموج الباطني إلى (٣٠) متراً^(٢).

٤- عدم استقامة الوسط الفاصل على سطح البحر، نتيجة للموج، فيتخذ الماء أشكالاً مختلفة، تساعد على زيادة انعكاس الضوء^(٣) والمياه في البحار، والمحيطات، سرعان ما ترتب نفسها رأسياً وأفقياً، تبعاً لاختلاف كثافتها، وتتركز

(١) الفيزياء العامة والتطبيقية الضوء، ت / محمد بشير مكي، مديرية المطبوعات، جامعة حلب، ١٩٦٩م (٨٣/٢) وانظر: الموسوعة العربية العالمية لائحة من الأساتذة المتخصصين (ط ١ : الرياض، نشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٤١٦هـ) (٣٢٨/١٥).

(٢) الفيزياء العامة والتجريبية، الضوء، بيير فلوري، جان بول، ص (٩).

(٣) وهو ما يسمى علمياً: " الانكسار المضاعف " و " انتشار الضوء " بسبب عدم تماثل المناحي، وتعدد الأوساط، وغير ذلك من العوامل: ينظر: الفيزياء العامة والتجريبية، الضوء، بيير فلوري، جان بول (ط ١، دمشق، سنة: ١٣٩٤هـ) صفحات (٤، ٤٤٣، ٤٥٩)

طبقات المياه الأثقل وزناً، والأعلى كثافة في الأسفل، وتعلوها طبقات المياه الأقل وزناً، والأقل كثافة " (١) - وإذا تعدد الانكسار - بسبب تعدد الأوساط المائية المختلفة الكثافة - فإن ذلك " يؤدي.. إلى ازدياد زاوية سقوط الشعاع الضوئي، بانتقاله من الطبقات العليا، للطبقات السفلى، وإذا زادت زاوية سقوط الشعاع، بحيث أصبحت أكبر من الزاوية الحرجة، فإن الشعاع ينعكس انعكاساً كلياً " (٢) وهذا يعني أن الضوء في هذا الوضع يرتد إلى أعلى، ولا ينفذ منه شيء. ٥ - حركة الماء، وتموجه، وتفاوت درجة حرارته، تحدث وضعاً مختلف الأوساط تشبه ألواح الزجاج، الموضوعه بعضها على بعض، وينتج عن هذا تكرر عملية الانعكاس والانكسار، مما يقلل كمية الضوء، الذي ينفذ إلى أسفل (٣) وعلى هذا، فالأشعة الضوئية، التي تنفذ من الحجاب الأول - السحاب - ينعكس جزء كبير منها عند سطح البحر عند سقوطه، على الموج السطحي، ولذلك نرى صورتنا في الماء عند النظر فيه - الحجاب الثاني - ويتوالى انعكاس وتكسر الضوء النافذ إلى الماء حتى لا يكاد يصل إلى الموج الباطني - الحجاب الثالث - شيء، وما قد يصل إليه، يحصل له ما حصل للضوء، عند مروره في الموج الأول، فيتلاشى الضوء تماماً داخل الموج الثاني، ولا ينفذ منه شيء إلى أسفل.

٦ - الرأي الراجح: أرى أن معنى الظلمة في الآية نسبي، وهو قلة الضوء النافذ للماء بالنسبة لما فوقه من الهواء، ثم قلة ما يصل للهواء تحت السحاب من الضوء، بالنسبة للهواء الذي فوق السحاب، بسبب امتصاص السحاب للضوء، وحجبه له، وهو في الليل يحجب نور القمر عندما يكون منيراً، وتحجبه أمواج البحر السطحية وغيرها، فيصبح الماء مع اضطراب الأمواج، في ظلمة، وليس

(١) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين (٢/٢٦٤).

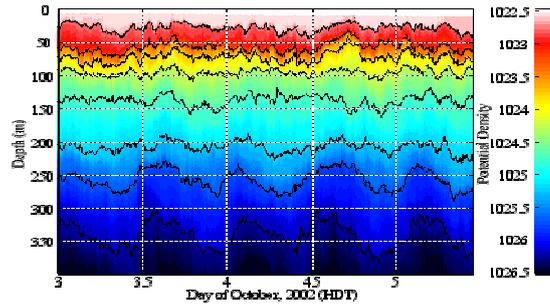
(٢) الفيزياء المرحلة الثانوية، الصف الثاني، الرئاسة العامة (ط، الرياض، ١٤١٥هـ).

(٣) الموسوعة العربية العالمية (٢٢/٣٨٨، ٤٠٧).

شفافاً للضوء، وقد يكون التعبير، مجازاً علاقته السببية ؛ لأن موج السحاب فوق بحر الهواء، يتسبب في فقدان جزء من ضوء الشمس، وموج البحر السطحي، يتسبب بامتصاصه للضوء، وعكسه لجزء آخر في قلة الضوء النافذ، وهكذا كلما تعمقنا في الماء، قل الضوء، حتى يتسبب السحاب مع الموج السطحي، مع موج البحر الفاصل، مع موج البحر اللجى، مع الملايين من الكائنات البحرية في البحار، والتي قد تصل إلى الموج السطحي في إحداث الظلمات في البحر اللجى، وربما كانت العلاقة المجاورة، وهي مجاورة الطبقة، التي تسمح بوجود شيء من الإضاءة داخل الماء، للطبقة التي بعدها، والتي يفقد فيها رؤية أول لون، وهو اللون الأحمر، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى، قد لا نحتاج لهذا المجاز، لأن وصف الظلمات بأنها ﴿ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(١) صادق في وصف البحر، وإن كان ماؤه شفافاً ؛ لأن الموج السطحي يصل لعمق ٣٠ متراً، والغواص يفقد رؤية لون من ألوان الطيف التي تعكس المرئيات، وهو اللون الأحمر، على عمق ٢٠ متراً تقريباً، من سطح البحر، وينشأ عن ذلك ظلمة اللون الأحمر، فمثلاً لو فرضنا أن غواصاً غاص على عمق ٢٥ متراً تقريباً وجرح، وأراد أن يرى الدم النازف، فسيراه أسوداً-لأن الأسود ليس بلون، بل هو حالة انعدام اللون- بسبب انعدام شعاع اللون الأحمر، وبعدها بخمسة أمتار يختفي اللون البرتقالي، فإذا كان البحر في حالة من التموج، والاضطراب، فإن سماكة الأمواج - في البحار العظيمة - كبيرة، فقد تصل سماكة كل من الموج السطحي، والموج الباطني إلى (٣٠) متراً، مما يحدث مع اختفاء الألوان، نوعاً من الظلمة، فإذا أضفت لذلك أن الملايين من الأحياء البحرية وغيرها، تطفو أحياناً إلى سطح البحر، تبين لك أن ماء البحر السطحي،

(١) سورة النور.

ينشأ فيه أحيانا نوع من الظلمة، بسبب الأحياء البحرية الطافية، وينشأ فيه نوع من الظلمة اللونية، المتمثلة في فقدان رؤية اللونين: الأحمر، والبرتقالي، وإن كان الموج السطحي شفافا، كما أخبر الحق سبحانه، وهكذا يتوالى فقدان الأطياف السبعة، كلما تعمقتا داخل البحر، وتحل الظلمة، مع انعدام الألوان، فهي ظلمات سبعة، بعضها فوق بعض، أقول: حال البحر، بالنسبة لما فوقه من الإضاءة، ووضوح الرؤية، نوع من الظلمة، بل إن ما يصل للماء بعد ما يحجبه السحاب، ويعكسه، ويحجبه سطح البحر، وأمواجه هو ٥ % من الضوء، فعد الله -تعالى- هذا الفارق الضخم نوعا من الظلمة، وما يحجبه السحاب ليلا ونهارا، من ضوء الشمس وأشعتها، وخصوصا السحاب الركامي، الذي يحجب الشمس، هو نوع من الظلمة، فهي حقا كما قال الله -تعالى-: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾^(١) تنتهي ببحر لحي، إذا أخرج المرء يده فيه، لم يكدا يراها، ومن لم يجعل الله له نورا، فما له من نور.



والأشعة تسير بخط مستقيم، فإذا اصطدمت بسطح أملس، انعكست عنه إن لم يكن شفافا، فإن كان شفافا، انعكس جزء منها، ونفذ الباقي، وهذا ما يحصل على سطح الماء، قسم من الأشعة ينتشر في الجو، وينفذ باقي الأشعة، مما يسمح بوجود شيء من الإضاءة داخل الماء، وهي بالنسبة لما

(١) سورة النور.

فوقها تعتبر نوعاً من الظلمة ؛ لضآلة الإضاءة^(١).

المطلب الرابع: مناظ الإعجاز، في قول الله -تعالى- من الآية الكريمة:

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ...﴾^(٢) وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ

﴾^(٣): البحار العميقة، التي تتواجد فيها الأسماك تبدأ من ٦٠٠ متراً، من

سطح البحر، إلى ٢٧٠٠ متراً^(٤) فالضياء منعدم فيها، والظلمات متراكمة،

ونستخلص من مفاهيم الآية، ما يلي: أولاً: الضمير في (أخرج) يعود على

شخص موجود في أعماق الظلمات، وقد اخترعت اليوم الغواصات، التي تتحمل

ثقل الماء، وتغوص في أعماق البحار، وترصد ظلماتها، وأحيائها المنيرة، التي

تسبح فيها، فهذا من تنبؤ القرآن، بحدوث ذلك في المستقبل، وقد كان، فمن

أصدق من الله حديثاً، ومن أعلم بما يحدث مستقبلاً من الخلق، من الله خالقهم

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴾^(٥). وثانياً: تعتمد الكائنات الحية، والأسماك التي

تعيش فيها، على الطاقة الكيميائية، من خلال جسدها^(٦) أو كائنات حية،

وطفيليات تعيش على ظهرها، أو قريباً من عينها، أو في جوفها، تضيء لها

طريقها، وهناك أنواع أخرى عمياء، تستخدم وسائل غير الرؤية، لتلمس طريقها،

وليسهل عليها الحصول على رزقها، من الأسماك الأصغر منها، وتجنب أكل

الأسماك الأكبر منها لها، ولجذب الذكر للأنثى بها^(١) وغير ذلك، قال -تعالى-:

(١) براهين على أن الإسلام، هو الحقيقة، لمحمود عبد الرؤوف قاسم، صفحة (٥٥).

(٢) سورة النور.

(٣) سورة النور.

(٤) الإعجاز العلمي، في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب، صفحة (٦٤).

(٥) سورة الملك.

(٦) موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.

(١) منتديات ثقف نفسك، أغرب ٧ مخلوقات مخيفة في قاع المحيط.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...﴾^(١). وثالثاً: يشير سبحانه إلى عدة أمور: أولهما: أن الله جعل لأسماء ظلمات الأعماق نورا، بما خلق لها من طفيليات، وبكتيريا تضيء لها، بأن تستقر تحت عينها، أو على ظهرها، أو في جوفها، في الوقت الذي تريده الأسماك، أو بتمكينها من عمليات، تحول الغذاء إلى مواد بيوضوية.

وهذا وجه، من معاني قول الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢). وثانيهما: أن سبب ظلمات الأعماق، هو تلاشي الضوء شيئا فشيئا، فمن يبطيء من سرعة الضوء، قادر على أن يجعله أسرع من ذلك، بدليل قانون التزواج، الذي يعم المخلوقات، ومن ثم قادر على أن يخلق خلقا له سرعات تفوق سرعة الضوء، كدابة البراق، التي سرت بالنبى، وعرجت به إلى السماء. وثالثهما: تشير كلمة (نور) إلى اختفاء نور الشمس والقمر، وامتصاص النور النافذ من السحب، وصولا إلى سطح البحر، بما ينعكس على السطح، وداخل أعماق البحر ولجه، قال الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٣) وحيث لم يجعل الله نورا بالمنطقة المظلمة بالبحر العميق، بسبب الماء الذي يمتص الضوء إلى سبع طبقات مظلمة، فما للإنسان من نور ليبصر به في تلك المنطقة، بخلاف الأسماك التي تضيئ ذاتيا، أو بواسطة البكتيريا والطفيليات، ولم يتمكن العلماء من معرفة الأمواج الداخلية، إلا في بداية القرن الثامن عشر، عندما توفرت الأجهزة المناسبة، والتقنيات، وصولاً إلى ابتكار الغواصات المتطورة، وبعد عام ١٩٥٨م أي: بعد ثلاثة قرون من البحوث

(١) سورة هود.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة الفرقان.

والدراسات العلمية، على أيدي أجيال متعاقبة، من علماء البحار، وبعد إقامة مئات من المحطات البحرية، والتقاط الصور بالأقمار الصناعية.



المبحث الثاني

أدلة الوحدانية، في الآية الكريمة

قال ابن جزي: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١) في قلبه، من نور توحيده ومعرفته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢) أي: من لم يشأ الله أن يهديه لنوره: لم يهتد، وفي الحديث: «خلق الله الخلق في ظلمة، ثم رش عليها من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»^(٣).
قال الزجاج: معناه: من لم يهده الله للإسلام، لم يهتد^(٤) ومن ثم، يتضمن المبحث الحديث عن المطالب الآتية: المطلب الأول: دلائل الوحدانية، من خلال التشابه: ١- أعماق البحار الكبيرة سحيقة، فالمحيط الهادي مثلاً، متوسط عمقه (٢٨٢) متراً، وأقصى عمق له هو (١١٠٢٢) متراً^(١) يتبين لنا أن منطقة

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) البحر المديد، لابن عجيبة (٤/٤٨).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٥/٢٤٠).

(١) من الإعجاز العلمي، في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين (٢/٢٧٦).

الضوء قصيرة جداً، وسلخة في أعماق ظلمات المحيط السحيقة، كما أن النهار سلخة في ظلمات بناء السماء، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَيُّ لَّهُمَّ أَلَيْلُ كَسَلَتْ مِنْهُ الْهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾^(١) وبما أن المحيطات تشكل معظم مساحة الكرة الأرضية، فإن التشابه هنا يبرز بين ظلمات البحار، وظلمات بناء السماء الخارجية. ٢- من أدلة الوجدانية، ما تشير إليه الآية، من ذكر الأمواج في البحر اللجي، بعضها فوق بعض، فالمياه في البحار، والمحيطات، سرعان ما ترتب نفسها، رأسياً، وأفقياً، تبعاً لاختلاف كثافتها، وتتركز طبقات المياه الأثقل وزناً، والأعلى كثافة، في الأسفل،^(٢) وتعلوها طبقات المياه الأقل وزناً، والأقل كثافة، وكذلك طبقات الهواء، تقل كثافته كلما صعدنا للأعلى، حيث يختفي، وعند حد اختفائه، تتساقط الأشعة الكونية، فيصفيها، ويعكس للخارج الكميات الزائدة، ويصفي الداخل، فلا يصل إلا بالقدر الذي ينفع، فالبر المائي حافظ لأحيائه، والبحر الهوائي حافظ لأحيائه، صنع الله الواحد الذي أتقن كل شيء، وهكذا صنعة الله في الجبال، وفي لب الأرض، وما يطبقه من الأراضين السبع، وكذلك الكواكب القريبة من الشمس، أكثرها كثافة، لكل سنتيمترا مكعبا، أقربها من الشمس، وتقل كلما ابتعدت، مع مراعاة الحجم فعطارد أقل كثافة من الأرض، ولكنه أقل كتلة، فجذبتة الشمس أكثر من الأرض^(٣) وتتناقص كثافة الغازات، في الأجزاء الخارجية للشمس، كلما ابتعدنا عن النواة^(١) وتزيد كلما اقتربنا، وكذلك النجوم، من مركز مجرة درب التبانة، وهكذا التوازن الأفقي والرأسي بين القارات،

(١) سورة يس.

(٢) منتديات ستار تايمز، أرشيف شؤون بيئية، المياه السطحية، البيئات الحيوية على الكرة الأرضية .

(٣) موقع الكون المجموعة الشمسية كوكب عطارد .

(١) موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الشمس، المميزات العامة .

والمحيطات، والبحار، وهكذا بناء الكون، يحمل الأقوى الأضعف^(١) فهو يؤدي زكاة عن قوته الكثافية، وسنة الحياة الروحية، مثل المادية، حيث يعود الغني، وهو الأقوى على الفقير، وهو الأضعف بفضل ماله، ويعود الحاكم، وهو الأقوى من الجميع، على المظلوم الضعيف، بحقه من الظالم القوي، فتلك سنة جارية وبصمة باهية، دالة على وحدانية الله -تعالى-. ٣- المنظر في السماء والغيوم، هو المنظر في أعماق البحر الطموح، ظلمات بناء السماء، تضي فيها النجوم، التي تسبح فيها، وتتلاقح في دورة، تمر بالولادة، والشباب، والهرم، وتنتهي بالموت، وفي أعماق البحر، ظلمات تضيء فيها أسماك، جهزها الله بأعضاء منيرة، تسبح فيها وتتكاثر في دورة الحياة، التي تبدأ بالولادة، وتتم بالشباب، والهرم، وتنتهي بالموت، مما يدل على يد واحدة بنت الكون من السماء والأرض، وصورتها بفتنة، ذات بصمة دالة على تفردا بما أبدعت، وعدم مشاركة أحد لها فيما صنعت؟ والبحر له أحيائه، والبر له أحيائه، ويتشابهان، وكما جعل الله للبر نورا هو الشمس، جعل للكائنات البحرية ضوءا يضيء لها، بل تتشابه كائنات البر، مع البحر، فكما توجد كائنات تضيء في البحر، توجد أمثالها في البر، ولكل الكائنات الحية فيها، جهاز هضمي، وتنفسي، ونوم، ونمو، وإخراج فضلات، وموت، وهذه الأسس الواحدة، تدل على إله واحد، لا شريك له، خالقا ومبدعا وحاكما ومقدرا، فتشابه خلق السماء والبحر، والبحر والبر، دليل وحدانية الله، قال الله -تعالى-: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

(١) يقول النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- : " من كان له فضل مال، فليعد به على من لا مال له " الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد، بن فتوح، الحميدي، تحقيق : د. علي حسين البواب (ط ٢، بيروت، نشر : دار ابن حزم- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) (٣٥٧/٢).

﴿١١﴾ (١) - ٤ - أمواج البحر، تشبه أمواج الرمال، وتشبه أمواج السحاب، وتشبه الأمواج المغناطيسية، وتشبه تعرجات الشمس، والكواكب في مداراتها، ومجالاتها المغناطيسية، وتشبه تموجات البحر الخفيفة، التموجات الخفيفة للرمال، وتموجات خطوط سير النجوم، والكواكب في شكلها الشبكي، وتموجات الماء، مما يدل على يد خبيرة صانعة، نسجت الكون على هيئة واحدة متشابهة، ذات تصميم فني واحد، دال على خالق ومصمم واحد، لا شريك له، فالخلق يبدأ في نجوم، بتصميم، ثم يعاد بنفس الذرات، في خلق آخر، وب نفس التصميم، في مسارات كواكب، وأقمار، ثم في مسارات طيور، ثم في تشكيلات خطوط رمال، إذا ضربتها الرياح، ثم في تموجات صفحات بحار، إذا ضربتها الرياح، وهكذا من نفس الخامة، تتشكل نفس الأشكال، من عناصر متنوعة، دالة على إبداع الخالق، وعظيم قدرته، التي تقتضي له الوحدانية، دون منازع، أو شريك ينتقص من عظمته في النفوس، وينازعه نزاع المغالبة، فيهلك من في السماوات، ومن في الأرض جميعا.

٥- حركة الأمواج صلواتيه، وعروجية، والسحب لها مناظر عروجية، تشبه حركات الماء، والرمال، وبناء السماء لا يعرف الخط المستقيم، ومن ثم فإن وحدة أشكال الأمواج، وهيئات صلواتها، وتسبيحها مع سائر المخلوقات، دال على خالق واحد، استعبد الجميع، بهيئة واحدة في عبادته معلومة للجميع، ومن ثم فإن الكون كله لا يفتر عن العبادة الصلواتية، العروجية، الانحنائية، الخاشعة لله الواحد الخالق، ويرى المشركون ذلك رأي العين، وبصائرهم لا تراها، فهم في ظلمات الشرك، والأعمال الباطلة ؛ لأنهم يستعملون أدوات الرصد بأيديهم، ويكتنون العلم بأقلامهم، ولا يرون النور الذي فيها، وهو نور العقل، وبصيرة القلب، الدال على عبادة الكون لخالق واحد، والصلاة له، والزكاة والحج،

(١) سورة الرعد.

والصوم، والشهادة له بالوحدانية، كما قال -تعالى-: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ...﴾^(١) وكما قال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢). ٦- قال الله - تعالى -: ﴿مَنْ فَوْقَهُ
سَحَابٌ﴾ ولم يقل: من فوقه هواء، وإنما ترك ذكر الهواء ؛ لأنه طبقة نور، وليس
طبقة ظلمة، ولكن قوله بعدها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٣)
يشير إلى طبقة النور، وما بينهما وبين طبقة البحر المظلم، من تقارب، فالهواء
بحر يعلوه موج السحاب، كما يشير إلى التشابه، فطبقات الهواء سبع، وظلمات
البحر المباشرة سبع، وطبقات الهواء، سبب في انتشار ضوء الشمس (النهار)
وطبقات البحر السبع، سبب في تشتيت هذا الضوء عند اختراقه لها، وحدوث
الظلمات، وموج البحر من أسباب ظلمته وسحاب الهواء، هو موج الهواء، وهو
من أسباب حدوث الظلمات، والتقابل والتشابه من أدلة الوحدانية، لدلالته على
بصمة واحدة، ونسيج للكون واحد ؛ لأنه صنعة إله واحد، هو الله خالق كل
شيء، ودليل التزواج، يدل عليه قول الله -تعالى-: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾^(٣) ففي معرض الاستفهام التقريري
لوحدة الله خالقا، استدل بقانون التقابل بين السماء والأرض، وأثر خلقهما
الواحد، المفيد للعلم بقصد الخالق رزق الإنسان، فالبرغم من بعد السماء عن
الأرض، واختلافها، وعيش الإنسان في الأرض، إلا أن الرزق يأتيه بتدبير من
السماء والأرض. ٧- السحب آية من آيات الوحدانية، لا تزال تمر بأشكال جميع

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة فاطر .

ما في الطبيعة، من جمادات، وأحياء ؛ لتدل على أنها صنعة من صنع الكون، على صبغة واحدة، وتصميم نسيجي واحد، ولذلك من أصنافها: السديمي يشبه السديم في السماء، والليفي (على شكل حجاب صغير) والموجي، والعدسي (يشبه العدسة في العين) والشعري (يشبه الريش) والقزح، والفكري (يشبه فقرات العظام) والمبروم المتعرج المتشابك، كما هو الشأن في الكثير من المناظر الخلقية، والركامي الشبيه بالإعصار، أو فطر الغراب، بل لا تزال ترسم اسم الله تعالى - واسم نبيه محمداً، وكلمة الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله^(١) ولا يزال المشركون يكتشفون أسرارها، وقوانينها، وأشكالها، ومع ذلك لا يبصرون دلائلها، على وحدانية الله، وعظمته، المقتضية مخالفته للحوادث، يقول الله تعالى - : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢) ٨ - كون الظلمات الضوئية، سبع من أدلة الوجدانية، فالسماوات سبع والطبقات الأرضية سبع، وطبقات الشمس سبع، وغير ذلك مما لا يحصى. ٩-الإشارة إلى أن المثل، الذي يمثل الله تعالى - به من وجود الظلمات في بحار ذات أغلفة من الأمواج، أثر من بلايين آثار الوجدانية، في أسلوب الخلق، فالبحر له أغلفة من الأمواج، الموج السطحي منها، له سبع ظلمات، والأرض لها غلاف من السحاب، وطبقات جوية سبعة، والنباتات، والأشجار، والنخيل، والشمار، والكواكب، والنجوم، والأقمار، وكل شي له غلاف، والإنسان غلافه جلده، وكذلك الحيوانات، والبرمائيات، والسباع، والنباتات، حماية له، وحفظاً، وجعل للأرض غلافها الجوي، قال تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا

(١) منتديات مكشآت، موسوعة أنواع السحب .

(٢) سورة النور .

مَحْفُوظًا... ﴿١٢﴾^(١). ١٢- تعاون الشمس والقمر، عندما يقعان على استقامة واحدة، في حالة محاق القمر، وحالة اكتماله بدرا، وذلك في جذب، ورفع المياه، عاليا على الشواطئ، ودفعها؛ لترتطم بالصخور، وتملأ المرافئ^٢، دال على وحدانية الله؛ لأنه سنة كونية ماضية في سائر المخلوقات. ١٣- يزواج ما سبق، ما يحدث من عكسه، حيث يضعف المد مرتين في الشهر العربي: الأولى في الأسبوع الأول، والثانية في الأسبوع الثالث، وذلك حينما يكون القمر والشمس، في اتجاهين متعامدين، ويسمى المد في كلتا الحالتين، بالمد المنخفض^(٣)، وهذا الزوجية من أدلة وحدانية الله؛ لثبوت اضطرابها في كل المخلوقات، حتى الأفكار البشرية، مما يدل على أنها مخلوقة، مصداقا لقول الله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤). ١٤- صورة بالقمر الصناعي لمنطقة، من المحيط، وتظهر الأمواج الداخلية على الجانب اليسار، على شكل خطوط نصف دائرية، عروجية، صلواتية، لخالقها -جل وعلا- وصدق الله القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾^(٥) فلزوم حالة السجود، والصلاة، والعروج، والطواف حجا لله، من سائر المخلوقات الكونية، من الذرة إلى المجرة، دليل على وحدانية الله، معبودا، وخالقا.

(١) سورة الأنبياء.

(٢) منتدى بلاك سوفت، قسم الثقافة العامة، قسم الثقافي، قسم العلوم الطبيعية والكونية، حركة الأمواج، وحركة المد والجزر، والتيارات البحرية.

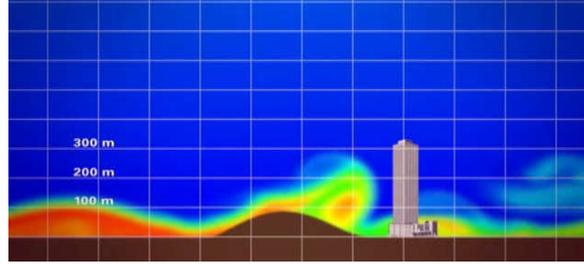
(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة الصافات.

(٥) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار، والمحيطات.



صورة بالقمر الصناعي نرى فيها الأمواج الداخلية في المحيط الهندي، والخطوط الطويلة، هي الأمواج الداخلية، ونرى انعكاسها على سطح الماء، بسبب تأثيرها على حركة الأمواج السطحية (الأمواج العميقة أثقل من الأمواج السطحية لذلك تدفعها وتؤثر عليها) فنظهر هذه الخطوط الطويلة، وتبدو في الصورة خطوط صغيرة جداً، هي الأمواج السطحية على وجه الماء، والتي نراها مباشرة.



هذه صورة بالكمبيوتر، لفاع المحيط، ونرى فيه الأمواج، بلون أخضر، وأصفر، ويبلغ ارتفاعها، طول ناطحة سحاب (٣٠٠ متر) وهي أمواج عنيفة جداً، وتغطي منطقة مظلمة جداً، من أعماق المحيط (١)

أقول: ومع رؤية الكافرين، لبلايين الأدلة، على وحدانية الله -تعالى- خالقاً، من خلال ما يكتشفونه كل يوم، من تناسق بديع في الخلق، هم يشركون به في

(١) موقع عبد الدائم الكحيل، للإعجاز العلمي، أسرار الأمواج العميقة.

العبادة غيره، ويساؤون به خلقه، فيعتقدون خالفا غيره، بل ويعبدون من دونه بشرا، أو حجرا، أو نباتا، أو حيوانا- ففي الهند من يعبد الحصان، والثعبان، والبقر- أو كوكبا، أو نجما، أو غير ذلك، ومن كان هذا شأنه، لا يمكن أن ينفك عن ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان، قال -تعالى-: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٧﴾﴾^(١) ويقول: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿١٠٨﴾﴾^(٢). إن من لم يكن له التفات بنور العقل في البر المنير من آيات، والبحر المظلم من علامات، ومن نعم لا تحصى، ممتلئة بالمنافع والخيرات، التي تعود علينا، من غاز، وبترول، وأسمك، وقشريات، وحلى، من ياقوت، ومرجان، وغير ذلك من التفضلات، فهو في ظلمات سحيقة، عن نور الحقيقة، ففي البحار، عشرون ألف نوع من الأحياء، وفي كل ليتر من مياه البحار، مئة ألف نوع من النباتات المجهرية، وعشرات الأنواع من الأحياء الحيوانية المجهرية، ومليون خلية نباته، كل خلية تتوالد بمعدل مليار خلية شهريا، فضلا عن حملة للسفن، للتنقل من مكان إلى مكان، فسبحان الذي أقسم بالبحر قائلا: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿١٠٩﴾﴾^(٣) وقال عن الأرض: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَيَّامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّابِلِينَ ﴿١١٠﴾﴾^(٤) وجعل الله في البحار عشرين لجة، تصل أعماها إلى ٥١٦، ١١ مترا ممتلئة بالجبال، ومنها السلسلة الممتدة، حتى مسافة ٦٠ ألف كيلوا مترا، بالمحيط

(١) سورة يوسف.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة الطور.

(٤) سورة فصلت.

الهادي، والهندي، والأطلسي، ويتراوح ارتفاعها ما بين مئة، وثلاثة آلاف متر (١).

المطلب الثاني: أدلة الوجدانية من خلال آيات تسخير البحار، ودلالاتها على وجود الله، ووجدانيته، وعظيم حكمته، وطلاقة قدرته: ١- نبه الله تعالى - إلى أن البحر، وما فيه، إنما خلق؛ ليكون آية لنا على قصده تعالى لنا بنعمه، وعطاياه، ومنحه وهداياه، فقال - جل في علاه-: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ...﴾ (٢) ووفر سبحانه للأسماك علق البحر، غذاء لها - وهو الأسماك الصغيرة - ٢- خص الله البحر بضرب مثل الظلمات والنور، والكافر والمؤمن، لما فيه من آيات التسخير، الدالة على وجود المسخر، واستمرارها الدال على وحدانيته، والتي يبصرها من نور الله قلبه فاهتدى، ويعمى عنها من اتبع هواه فتردى، فأيات البحار وعظمتها، ووضوحها وكثرتها، مما يستوجب الإيمان بوجود الله، ووجدانيته، خالقا، وتوحيده إلهية، وربوبية، يقول الدكتور: عدنان الشريف: " تصعد كل يوم مئات المليارات من الأطنان، من الأحياء الصغيرة؛ لتشكل طعاما لصيد البحر كل ليلة، من أعماق المحيطات، إلى سطح البحر، فتتغذى منها الأسماك المتوسطة، والكبيرة، ثم ينزل علق البحر، مع طلوع الفجر، إلى أعماق البحار، كما تبين أيضا أن علق البحر، مصدر من أغنى المصادر بالبروتينات، فصار طعاما للإنسان أيضا، فضلا عن الطحالب (١) - ٣- من آيات البحار، التي لا تعد، ولا تحصى، ومنها الماء نفسه،

(١) من علوم الأرض القرآنية، للدكتور: عدنان الشريف، صفحة (١١٤).

(٢) سورة النحل.

(١) من علوم الأرض القرآنية، للدكتور: عدنان الشريف، صفحة (١١٥).

وأشكاله البديعة الرائعة فكيلو مترا مكعبا من ماء البحر، يحوي مليوناً ونصف طن من معدن المنجنيز، و ١٧ كيلوا غراما من الذهب، وكميات كبيرة من الكلس، والكبريت، والملح، والكلور، والبوتاس، وأملاح الألمنيوم، والنيكل، والكروم، وغيرها، و كيلو مترا مكعبا من مياه المحيط، يكفي العالم من ملح الطعام، لمدة سنتين، والكتل النحاسية لو استخرجت من قاع المحيط، لكفت العالم، لمدة ستة آلاف سنة، ومن الألمنيوم، لمدة عشرة آلاف سنة، ومعدن الكوبالت، لمئتي ألف سنة، فضلا عن الطاقة الكهربائية النظيفة ونحو ٨٥ عنصرا من العناصر الطبيعية^(١) حيث يجتهد المشركون والكافرون في بيانها، ومع ذلك لا يهتدون، مما يدل على خالق واحد جواد كريم، وهاب، منان، متفضل بنعمه، التي لا تحصى، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). ٤- لا تعيش الأحياء البحرية دون الماء، ويحتاج جميعهم إلى الهواء، ولا يعيش الأحياء في البر دون الهواء، ويحتاج جميعهم إلى الماء، وهو تزوج احتياجي، دال على خالق واحد لا شريك له. ٥- قدر الله كمية الماء بالأرض، فلو زادت بضعة أقدام، لغرقت اليابسة، ولو زادت نسبة الملوحة به، لماتت الأحياء، مثل البحر الميت، ولو قلت لتعفت البحار، وماتت الأحياء^(٣) فيا لها من نعم مقصودة، ومخلوقات بقدر مصنوعة، جاءت بتقدير؛ لتدل على خالق واحد متقن الصنع، عظيم الحساب، مرهوب الجناح، حسيب رقيب، أحصى خلقه وعده عدا، وخلقه بقدر ينفع أبدا، وهذا التقدير، ينافي العشوائية والصدفة - لو صح هذا التعبير- فلو كان الخلق عشوائيا، لم يضر زيادة الماء بضعة

(١) منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، منتدى الثقافة والعلوم، الطاقة الكامنة في البحار

(٢) سورة النحل.

(٣) موقع ستار تايمز، أرشيف الطلبة والطالبات بحث مفصل عن المياه .

أقدام، ولا مئات الأقدام، ولم يضر زيادة نسبة الملححة بالماء، وصدق الله
القائل: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (١) والقائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ﴾ (٢).

المطلب الثالث: أدلة الوجدانية من خلال آيات الأمواج، وتسخيرها،

ودلالاتها على وجود الله، ووجدانيته، وبالغ حكمته، وبديع صنعه:
تعريف الأمواج البحرية: أما الظاهرية فهي: حركة تقدم المياه، على شكل
تيارات سياله، متفاوتة القوه، ناتجة عن عدة عوامل (٣) وأما الداخلية فهي: كتلة
متحركة من المياه، على شكل أنهار مائية ضخمة، في البحار، والمحيطات،
وتتحرك باتجاهات عدة، ولمسافات طويلة (٤) أقسام التيارات البحرية الظاهرية،
من حيث التسخين والتبريد: دافئة وباردة، وهذه تشابه تماما التيارات الهوائية
الأساسية، والسائدة على سطح الأرض، مع تغير المكان، فمكان التيارات
الهوائية طبقات الجو، ومكان التيارات البحرية، المحيطات والبحار، والفارق في
تغير كثافة المكان ؛ لاختلاف الكثافة بين الهواء (الغازي) والماء (السيال) (٥)
وكلاهما يؤثر في المناخ مناصفة فيما بينهما، وهذا من أدلة الوجدانية، للزوجية
الواضحة، تعمل المياه الضحلة، والأرصفة الصخرية، والجزر الساحلية، عند
فتحات الخلجان، على اضمحلال الأمواج، ولذلك وصف الله البحر، الذي يحتوي

(١) سورة النمل.

(٢) سورة القمر.

(٣) موقع الجغرافيا التطبيقية، تعريف التطبيقات، العلاقة بين التيارات البحرية والتيارات الهوائية،
والمناخ بصفة عامة .

(٤) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار، والمحيطات .

(٥) موقع الجغرافيا التطبيقية، تعريف التطبيقات، العلاقة بين التيارات البحرية والتيارات الهوائية،
والمناخ بصفة عامة .

الظلمات، بوصفين ﴿لُجِّيٍّ﴾ و﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾^(١) مضطرب، عال الصوت من شدته، فهو وصف لمنطقة في أعماق البحر، ووسطه، وليست على شاطئه، ولا عند مضيق بحر، أو فتحة خليج تضمحل عندها الأمواج، فذلك وصف الموج السطحي الظاهري، بقول الله - تعالى -: ﴿مِّنْ فَوْقِهِمْ مَّوْجٌ﴾^(٢) وتدور الأمواج في المسطحات المائية الجنوبية، حول الأرض، والكتل المائية التي تحركها تيارات المد، غاية في الضخامة، وليس أدل على ذلك من أن تيار المد، يجلب إلى خليج فندي، كتلاً من المياه تقدر بحوالي ١٠٠ مليون طن، مرتين في اليوم الواحد^(٣) والأمواج المدية نوعان: النوع الأول: ينشأ عن الزلازل، التي تحدث في قاع المحيط، وتنشأ معظم الأمواج الزلزالية البحرية، التي يطلق عليها تسونامي في الأخاديد - كأخدود اليابان - والأحواض البحرية العميقة، حيث تحتل المياه من قاع المحيط مكانا ضعيفا، غير ثابت، يصيبه الاختلال، وعدم الاتزان، مما يولد الكثير من الزلازل، التي تسبب الأمواج الثائرة الكبيرة، التي تدمر المنشآت الساحلية. قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ ۗ فَلَمَّا خَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧﴾﴾^(٤) أفأمنتُم أن محسِف بكم جَانِبَ الْبَرِّ... ﴿٧﴾ فربط سبحانه بين الريح، وغالبا ما تكون في الضر، والإغراق على الشيطان، التي رسو عليها، وقد نفضوا أيديهم من الدعاء لله وحده، وهذا فعل الأمواج التسونامية بالشيطان، والثاني: تسببه

(١) سورة النور.

(٢) سورة النور.

(٣) منندى بلاك سوفت، قسم الثقافة العامة، قسم الثقافي، قسم العلوم الطبيعية والكونية، حركة الأمواج، وحركة المد والجزر، والتيارات البحرية.

(٤) سورة الإسراء.

الرياح الشديدة، أو العواصف العاتية، يقول الله -تعالى-: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ (١) أيها المعرضون عنا، بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر، وخرجوا إلى البر ﴿فَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقُكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٢) والفاصف: ريح تقصف السفن، وتغرقها.

تسخير الأمواج، ودلالته: نزل العلماء أجهزة ؛ لقياس ارتفاع الموجة لعمق ٥٠٠٠ مترًا، فسجلت خصائص الماء، وكثافته، وارتفاع الأمواج، وشدتها، وغير ذلك، وتبين أن هذه الأمواج تتشكل على عمق خمسة آلاف متر تقريباً، تحت سطح البحر، وتستغرق ساعة، أو أكثر حتى تنكسر، فهي عميقة جداً، ومظلمة، والطبقة التي تحتها من الماء كثيفة جداً، لقد سخر الله الأمواج في قلب الماء، وسهولة تنقل الأحياء، وتكوين الجروف، والكهوف، والجزر، وهي تنظف البحار، والمحيطات، وتنقي الموانئ من الرواسب، وتساعد في دخول السفن إلى الموانئ، وتحافظ على التوازن البيئي (٣) وتفيد الإنسان طبياً عند الاستماع لصوت تلاطم الأمواج، وما انعكاس أشعة الشمس على البحر، والرمال، ثم على جلده، لأنها تحت خلايا الجلد، على إرسال معلومات إيجابية للدماغ، تساعد على الاسترخاء، والتخلص من الإرهاق (٤) وعلى الرغم من الاضطراب المستمر، إلا أن الماء في الأسفل، يحافظ على نوعيته، وكثافته، وملوحته، ودرجة حرارته، وكل هذا وراءه مسخر، وموظف، ومخصص، وخالق واحد عظيم التقدير.

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار، وموقع عبد الدائم الكحيل، للإعجاز العلمي، أسرار الأمواج العميقة، أمواج تحت البحر، بطول ناطحات السحاب .

(٤) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار .

أهمية أمواج الرياح: الرياح هي: أهم عامل مشكل للأمواج البحرية ؛ لأنها تولد ضغطاً، يعجل بحدوث اختلال في توازن السطح المائي، بفعل قوى الضغط، والاحتكاك، بحيث تنقل هذه القوة الطاقة من الهواء، إلى الماء، محدثة ما يعرف بالأمواج البحرية (١) وتنشأ أعظم الأمواج في المحيطات ؛ لاتساع مجالها، الذي يعبر عنه بطول الامتداد، وهو المسافة التي تقطعها الأمواج، مدفوعة برياح دائمة الهبوب، في اتجاه واحد، دون أن يعترضها عائق، وكلما كبر امتداد الأمواج، ازداد طولها وارتفاعها، وأطول موجة محيطية جرى قياسها، وصل امتدادها، إلى ١٣٠ م (بين قمتين متتاليتين) وأعظم ارتفاع وصلته، وصل إلى ٢٢ متراً (٢) يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ اللَّيْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُم مِّنْهُ﴾ (٣) وحينما تصل الأمواج إلى مياه ضحلة، يشتد انحدار قممها، وتتجدد، ثم تنكسر، وهي

التي تعرف بـ(الأمواج المنكسرة) تتجدد (٤) وتصير ذات حبك، وشكل شبكي وينقرر مدى ارتفاعها، وطاقتها، بقوة الرياح التي تسوقها، وبطول الامتداد، ولهذا، فإن موقع خط الساحل، بالنسبة لاتجاه الريح، ولعرض البحر، يعتبر من أهم العوامل، التي تؤثر في تشكيله، وبخاصة موقعة بالنسبة لاتجاه أقصى طول امتداد، ومن ثم لأعظم الأمواج، وهي الأمواج الأقدر على القيام بعمليات التعرية، ولأمواج العواصف أهمية خاصة، وهي التي تحركها رياح في قوة الإعصار، أو

(١) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار .

(٢) فعل الأمواج، وحركة المد والجزر، بحث حول أهمية المياه، في جميع مجالات الحياة .

(٣) سورة لقمان.

(٤) لكل موجة، ارتفاع، يقاس من قاعها إلى قمتها، ولها طول، يعبر عنه بالمسافة، بين قمتها، وقمة الموجة التالية لها، منتدى بلاك سوفت، قسم الثقافة العامة، قسم الثقافي، قسم العلوم الطبيعية والكونية، حركة الأمواج، وحركة المد والجزر، والتيارات البحرية .

العاصفة، تهب فوق مسطح مائي عظيم، فمثل هذه الأمواج العاتية، قد يعادل تأثيرها في تشكيل السواحل، في يوم واحد، ما تستطيع الأمواج السائدة العادية فعله فيها أثناء عدة أسابيع^(١). يقول الله -تعالى-: ﴿أَمْ أَمْنُكُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ...﴾^(٢) وتتسابق هذه الأمواج، وتتلاحق بسرعة، وبمعدل يتراوح بين ١٢ - ١٤ موجة في الدقيقة الواحدة، وتتعدد أنواعها ما بين أمواج هدم^(٣) وبناء^(٤) وأمواج زلزالية^(٥).

سبب نشأة الأمواج البحرية الداخلية، ودلالته على الوحدانية: يقول الله -تعالى-: ﴿أَوْ كَذَلُمْتِ فِي نَحْرٍ لُّجِّيٍّ...﴾^(٦) والأمواج الداخلية للبحار، ذات أشكال خاصة، تنشأ في المضائق والفتوات، وهي شائعة في مضيق جبل طارق، حيث يتسبب التدفق الداخلي للتيار السطحي القوي، والتدفق الخارجي للتيار السفلي، في دخول الأمواج الداخلية من المحيط الأطلنطي إلى المضيق، كأنها

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) أمواج الهدم : وهي تتحت أرض الشاطيء، وتجرف معها موادها نحو البحر .

(٤) أمواج البناء : وتدفع الحصى نحو الساحل، وترسبه، وقد تصل لأربعة أطنان للمتر المربع،

كما في أمواج المحيط الأطلسي، في فصل الشتاء، على الشاطئ الغربي لأيرلندا.

(٥) أمواج الزلازل : وهي التسونامية العاتية، قال الله -تعالى- : (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب

البر) وتنشأ نتيجة للهزات الزلزالية، التي تصيب الأخاديد، والأحواض، في = القاع

المحيطي العميق . تأمل لتعريف الأمواج على شبكة الانترنت موسوعة النواوي، مقال :

العوامل المؤثرة في تشكيل السواحل.

(٦) سورة النور.

أمواج متكسرة، مثل الأمواج المزبدة على الشاطئ، وتوجد أمواج ظاهرية^(١) وهذا التزاوج بين الأمواج داخليا وظاهريا، دال على وحدانية الله -تعالى- لأنها سنة ماضية، ومن ثم فإن كل خلق تمضي فيه سنة الزوجية، دال عدم وجود شريك لله في صنع ذلك الخلق.

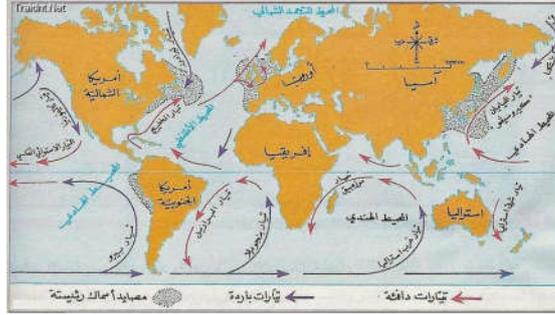
سبب نشوء التيارات البحرية الظاهرية، ودلالته على الوحدانية : سبب نشوئها هو: دوران جرم القمر على الأرض، مؤثراً للجاذبية على المسطحات المائية، من بحار، ومحيطات، وهو يتسبب في الجزر، والمد، ولكن لا يتحكم في منسوب الجزر والمد. وإنما التحكم يكون بسبب (التيارات الهوائية) الناتجة عن الاحترار، والرياح، والضغط، وبسبب تيارات الأمواج الداخلية، وتحدث بسبب تفاوت نسب الملوحة، والكثافة^(٢) يقول الله -تعالى-: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ...﴾^(٣) وجميعها قد تتداخل، وتؤثر على بعض، بالإيجاب والسلب، وتغير الاتجاهات، والأقوى أكثر تأثيراً، والتيارات البحرية الدافئة شمال خط الاستواء، مثل تيار البرازيل، شمال خط الإستواء^(٤) تتخذ أشكالا طوافية، متعرجة، صلاة لله -تعالى- وحجا له، وهي آية من آيات الله، مستمرة، دالة على وحدانيته مصرفاً لها، ومقدراً

(١) تطبيق موقع الإعجاز، الإعجاز العلمي، الأرض وعلوم البحار، الأمواج الداخلية وظلمات البحر العميقة، للشيخ عبد المجيد الزنداني، إصدارات الهيئة في مكتبة نون .
(٢) موقع الجغرافيا التطبيقية، تعريف التطبيقات، العلاقة بين التيارات البحرية والتيارات الهوائية، والمناخ بصفة عامة .

(٣) سورة فاطر .

(٤) منتديات ستار تايمز، أرشيف عام البحار .

لأحوالها، قال الله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ...﴾^(١). والمد والجزر يدور تبعا لدورة القمر، فيتأخران ٤٥ دقيقة عن اليوم الذي قبله، والله -تعالى-



سخر البحر للأكل من فضله، فعن طريق تلك التيارات الهوائية، يعرف صيادو الأسماك، أفضل أوقات الصيد وأماكنه، فمناطق التقاء التيارات البحرية الحارة والباردة، هي من أغنى المناطق، من حيث وفرة الكائنات البحرية، حيث يزيد المد القمري، بالمد الناتج عن الرياح الجنوبية، فيصل إلى أعلى الدرجات، وينقص بالرياح الشمالية، والشرقية، والشمالية الشرقية، والشمالية الغربية، وكذلك الجزر، يبلغ إلى أقل نسبة بالرياح الشمالية، بجميع فروعها، ويرتفع بالرياح الجنوبية، بجميع فروعها^(٢) والصلة بين هذا التسخير الإلهي، وآية ظلمات البحار، هي أن الله سخر البحر للإنسان، للطعام، والكساء، والرزق، ولا يبصر آياته في المد، والجزر، وإرسال الرياح، وتحريك الأمواج، وبعض أفراده من الذين ضرب الله لهم مثل الظلمات البحرية اللجية، لا يهتدون، ولا يتساءلون، من الذي سخر لنا البحر، قال الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلْبَسُونَهَا...﴾^(٣) فكون كل

(١) سورة فاطر.

(٢) موقع الجغرافيا التطبيقية، تعريف التطبيقات، العلاقة بين التيارات البحرية والتيارات الهوائية، والمناخ بصفة عامة.

شيء بالبحر، يمكن الاستفادة منه، يعني أن من فرض قرار تسخير للبشر، واحد لا شريك له، وعند طلوع القمر، أو غروبه، تكون أعلى نقطة للمد، وعند الانتصاف بين الوضعين، تكون أعلى نسبة للجزر، وبينهما هو التدرج ارتفاعاً ونزولاً^(١) وتلك سنة لا تتبدل، دالة باستمرارها على وحدانية الله -تعالى- خالفاً مقدرًا لحركات أجرام هذا الكون، وأرزاق أهل الأرض، وذكر الموج في الآية، المشبهة لعمل المشرك بالله -تعالى- بظلمات البحر وأمواجه، يشير لذلك؛ لأن من أسباب حدوث الموج المدي، سنة المد والجزر القمرية، أما مقدار المد والجزر على الطبيعة: فيكون بسبب المد الناتج عن ١-الرياح والضغط الجوي. ٢-توزيع التسخين والتبريد على المحيطات، حيث تتشكل الجينات المكونة لخصائص المواسم المناخية على الأرض، فكل المواسم في كل عام، تملك عناصر كلية متشابهة، لكن لا تتشابه من حيث العناصر التفصيلية الخاصة، فكل عام، وموسم، بصمته الخاصة^(٢) وهو من أدلة وحدانية الله -تعالى- وعظيم إبداعه، وطلاقة اقتداره، يقول الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَلَبْنًا وَلَبَنًا وَتَرَى الْفُلَّكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) لتعلموا أنه مقدر ذلك، قاصد التفضل عليكم، مستحق لشكركم، فاشكروه وحده، وعبده وحده، يقول الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٤)

^(١) فإن كان سبب الاحترار هو الشمس، فذلك عندما تكون مناطق التسخين على

(١) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار، التيارات البحرية، وارتباطها الوثيق بالرياح .

(٢) شبكة البراري، منتدى الطقس والفلك، التيارات البحرية، وارتباطها الوثيق بالمناخ .

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة النور.

خط الاستواء، حيث تتدرج الحرارة في الانخفاض بعده، كلما انتقلنا شمالاً وجنوباً، حتى نصل إلى التبريد في الأقطاب، والسبب يكمن في سبج الأرض حول الشمس، وميلان محور الأرض، بالإضافة إلى الشكل البيضاوي لها (١) فانظر إلى تقدير الله، وتعليمه لنا الأوقات، والحساب، وخلق الخلق على نظام منضبط، يسهل لنا الحساب، وطلب الأرزاق، قال -تعالى-: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٢) والشمس واحدة، ولكن التيارات البحرية لها تأثير قوي، على حسب التضاريس الجغرافية، فتقدم التيارات الدافئة، إلى منطقه باردة، تؤدي إلى اعتدال الجو، بسبب تدفق الرطوبة، الناتجة عن ذلك، وقد تتسبب في أمطار موسمية ؛ لوجود العوامل الأخرى، مثل المرتفعات التضاريسية، وكذلك ترفع درجة الحرارة، إذا تقدمت التيارات الدافئة، في البحار المحيطة، بالمناطق المعتدلة، والعكس صحيح هنا، في حال تقدم التيارات البحرية الباردة، فما يحدث في الجو، نصفه الآخر، هو الذي يحدث في البحار، فحين يكون الجو بارداً، تصعد التيارات الدافئة لأعلى ؛ لتسخين الجو، وحين تكون ساخنة، تصعد التيارات الباردة لأعلى ؛ لترطب الجو (٣) وذلك تقدير الله، فمن لم يبصر تلك الآيات، فيعرف نعم خالقها، ومقدرها، فما له من بصيرة ونور، وإحساس وشعور ، يقول الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (١)

وسبحانه الخالق المصرف لهذا الكون، بحكمه بالغه، تدل على انفراده بالربوبية والإلهية، واستحقاقه للأسماء والصفات الكمالية، فهو الذي جعل معظم الأرزاق

(١) منتديات شبكة البراري، منتدى الطقس والفلك، التيارات البحرية، وارتباطها الوثيق بالمناخ، كتاب الثقافة المناخية، للباحث المناخي : سامي الحربي.

(٢) سورة الملك.

(٣) منتديات ستار تايمز، أرشيف عالم البحار، التيارات البحرية، وارتباطها الوثيق بالرياح .

(١) سورة النور.

والحلي في البحار، وجعلها عنصرا أساسيا في وجود الحياة على اليابسة، لأنها مصدر بخار الماء والسحب، ولولا تقديره سبحانه للتيارات البحرية، والمد، والجزر، والملوحة، ما كانت حياة على الأرض، ولتعفن البحر، ولأصبحت الكرة الأرضية، غير صالحة للحياة.

سبب نشوء الأمواج البحرية: تنشأ الأمواج عادة، من هبوب الرياح والعواصف، فمعظم الأمواج، ناتجة من تأثير احتكاك الرياح بسطح المياه، غير أن الأمواج^(١) (التيارات البحرية) قد تنشأ بتأثير حركات المد والجزر، كما تنشأ من تأثير الزلازل، والثوران البركاني، في قاع المحيط.. وفي القرآن آية أوردت السحاب، الذي تسوقه الرياح، وهي التي يقول الله -تعالى- فيها: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ السَّحَابَ...﴾^(٢) فحيث جاء بآية النور قول الله: ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾^(٣) أشار إلى عامل الرياح، في حدوث الأمواج الظاهرية، بالإشارة في الجملة للصيغة التالية، وبدلالة اللزوم، فلا يساق السحاب بغير سائق، ولا ينسحب من غير ساحب، لا سيما السحاب الثقال، الذي يعلو طمظام المحيطات، كما يشير إليه، عدم إيراد فاصل، كأن يصرح بذكر الهواء المنير، الذي يقابل بحر الماء المظلم، ووصفت الآية الموج السطحي بأنه: ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ ووفقا لرصد الأقمار الصناعية، ثبت أن مناطق حدوث تيارات الموج العميق،

(١) منتدى بلاك سوفت، قسم العلوم الطبيعية والكونية، حركة الأمواج.

(٢) سورة الروم.

(٣) سورة النور.

يغشاها سحب كثيف، فيتساقط الماء، في هيئة مطر، أو ثلوج^(١) وحقاً قال الله
ربي: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢).

(١) موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، علوم البحر، علوم البحار، أسرار البحار، المقدمة.

(٢) سورة النور.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١٥.....	المقدمة
١٧	الفصل الأول: تفسير آية (أو كظلمات) من سورة النور.....
١٧	المبحث الأول: المعاني اللغوية، والإعرابية، والبلاغية في الآية.....
٣٥	المبحث الثاني: المعاني التفسيرية للآيات.....
٤٥.....	الفصل الثاني: تفسير آية الظلمات، بغيرها من آيات سور القرآن الكريم.....
٤٥.....	المبحث الأول: الربط بين كلام ابن عباس -رضي الله عنه- في مثل الظلمات، وآية البقرة.....
٤٩	المبحث الثاني: ما يستفاد من المثل، وفق هذا الارتباط، عند ابن عباس - رضي الله عنهما-.....
٥٢	الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في الآية
٥٢.....	المبحث الأول: وجوه الإعجاز العلمي، في الآية الكريمة
١٠٣.....	المبحث الثاني: أدلة الوجدانية، في الآية الكريمة
١٢٥.....	فهرس الموضوعات.....
١٢٦.....	المصادر والمراجع.....

فهرس المصادر

- الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، لشريف كمال عزب.
- البحر المديد، لابن عجيبة.
- براهين على أن الإسلام، هو الحقيقة، التي يبحثون عنها، لمحمود عبد الرؤوف قاسم
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.
- التفسير الكبير، للرازي.
- تفسير المراغي.
- التفسير، من شريط إعجاز القرآن في الأرض لـ د. طارق السويدان .
- التفسير الميسر، للشيخ، والدكتور: عائض القرني. موقع شبكة الإقلاع.
- تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، للسعدي.
- جامع البيان، لابن جرير الطبري.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.
- شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك.
- فتح القدير، للشوكاني.
- الفريد، في إعراب القرآن المجيد، لحسين، بن أبي العز، الهمذاني.
- الفيزياء العامة والتجريبية، الضوء، بيير فلوري، جان بول، ص (٩).
- الفيزياء العامة والتطبيقية الضوء، ت / محمد بشير مكي، مديرية المطبوعات بحلب.
- الفيزياء المرحلة الثانوية، الصف الثاني، الرئاسة العامة، لتعليم البنات، بالسعودية.
- الكشاف، للزمخشري.
- لباب التأويل، للخازن.

- لسان العرب، لابن منظور.
- مختار الصحاح، لمحمد، بن أبي بكر، بن عبد القادر، الرازي.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية.
- معالم التنزيل، للبخاري.
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لجمال الدين، ابن هشام.
- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني.
- من الإعجاز العلمي، في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين.
- منتديات بلاك سوفت، قسم الثقافة العامة، قسم الثقافي.
- منتديات ثقّف نفسك.
- منتديات ستار تايمز، أرشيف الدراسة، والمناهج التعليمية
- منتديات شبكة البراري.
- منتديات المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، منتدى الثقافة والعلوم
- منتديات مكشآت، موسوعة أنواع السحب.
- منتديات مملكة المعلم، ملتقى تربوي تعليمي، أنواع السحب والغيوم بالصور.
- من علوم الأرض القرآنية - الثوابت العلمية في القرآن الكريم - للدكتور: عدنان الشريف
- الموسوعة الذهبية، في إعجاز القرآن، والسنة النبوية، للدكتور: أحمد مصطفى متولي
- الموسوعة العربية العالمية.
- موسوعة مقاتل من الصحراء، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ظلمات البحر.

- موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، آيات الله في البحار، رقم الفتوى: ١٥٣٥٠.
- موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: البحر اللجي.
- موقع جامعة الإيمان، للشيخ عبد المجيد الزنداني، بقلم: عادل الصعدي.
- موقع الجغرافيا التطبيقية، تعريف التطبيقات
- موقع عبد الدايم الكحيل، باختصار.
- موقع الكون المجموعة الشمسية كوكب عطارد
- موقع نداء الإيمان: الحاوي في تفسير القرآن الكريم.
- النحو الوافي، لعباس حسن.